

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

# دراسات إسلامية

سلسلة تصدر

في منتصف كل شهر عربي

العدد (٢١٢)



## حقائق

### حول عدم أحقية اليهود

### في أرض فلسطين

بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل  
وفي آي التنزيل

أ. د / محمد عبد العليم دسوقي

القاهرة

١٤٢٤هـ - ٢٠١٣م

**دراسات إسلامية**

سلسلة تصدر

في منتصف كل شهر عربي

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

الجلس الأعلى للشئون الإسلامية

# حقائق

## حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين

بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل  
وفي آي التنزيل

أ. د / محمد عبد العليم دسوقي

العدد (٢١٢)

القاهرة

ربيع الأول ١٤٢٤ هـ - فبراير ٢٠٠٣ م

يشرف على إصدارها

**أ.د. / طلعت محمد عفيفي**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

**أ.د. / صلاح الدين عبد الحليم سلطان**

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

« ما ينشر في هذه السلسلة يُعبر عن رأي كاتبه ولا يُعبر بالضرورة عن رأي المجلس. »

الاشتراكات، يخاطب بشأنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٩ شارع النباتات - جاردن سيتي

قيمة الاشتراك السنوي (داخل مصر) ثلاثون جنيهاً (١٢ عددًا)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ  
الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ\*  
قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى  
رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِزُّكُمْ وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ  
تَعْمَلُونَ﴾.

(الأعراف: ١٢٨، ١٢٩).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ  
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ  
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

(النور: ٥٥).

\*\*\*\*\*

\*\*\*



## الإهداء

\* إلى قدس المسلمين التي لا يجوز لأحد تاريخيًا ولا دينيًا - وبموجب ما جاء في الكتاب المقدس وفي آي التنزيل وعلى السنة جميع الأنبياء والمرسلين - أن ينزعهم فيها.

\* إلى عز الإسلام وفخر المجاهدين ومهد النبوات، إلى زهرة المدائن وعبق التاريخ ومهبط الرسالات.

\* إلى أرض الفتوة والجهاد والصبر والإباء، ومهبط الملائكة الأصفياء، ومجمع الرسل والأنبياء، ومنتهى مسرى الرسول في الأرض ومبتدى معراجهِ إلى السماء.

\* إلى عزمات صحابة الصديق الأمين، وثمره كفاح الفاروق أمير المؤمنين، وهمة الصديق في يمين الناصر صلاح الدين، وقاعدة الرباط إلى يوم الدين، وغضبة الحق في سيوف الحفدة الميامين.

\* إلى كل متدين يؤمن بكتابه ويتمسك بمنهج نبيه ويريد أن يسلك طريق الحق ويعرف كلمة الصديق في قضية هي من أخطر قضايا العصر.. مسلمًا كان أو مسيحيًا أو يهوديًا.



## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

صدر هذا الكتاب أول ما صدر بعنوان: (الحقائق العشر لاحتامية تحول موعود الله من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل)، وقد زانه وزاد في قدره؛ موافقة (مجمع البحوث الإسلامية) بالأزهر الشريف على طبعه ونشره، بيد أن هذا العنوان بدا وكأنه لغز محير، ذلك أنه ليس في مقدور كل أحد أن يستوعب أن شمة وعدا جرى في يوم من الأيام على السنة أنبياء الله (إبراهيم وإسحاق ويعقوب)، لينسبهم من نسل يعقوب بأن يرثوا ويمتلكوا أرض الله المقدسة، وأن ذلك كان مشروطاً بالحفاظ على منهج الله الذي خطه لعباده، وأنهم لما بدلوا وأفسدوا ونقضوا عهودهم ووعدهم جرت عليهم سنة الله في خلقه والقلل فيها: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (سورة: ٣٨) .. وليس بمقدور كل أحد كذلك أن يستوعب حكمة الله في أن يأمر خليله إبراهيم عليه السلام في حياته - بل وقيل أن يولد له (إسحاق) على الصحيح - بالذهاب بهاجر زوجه الثانية وابنه إسماعيل الذي جاء منها على الكبر، إلى بلاد العرب تمهيداً لتحول لما نحن وقته بعد، وسيكون بعد زمن طويل وفق علمه تعالى وبعد أن تُهَيَّأ أسبابه وبحين وقته.. ولما كان الأمر كذلك أثر مؤلف هذا





الكتاب الوثائقي أن يجعل عنوانه: (حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين).

وإذا كان العنوان الأول قد جاء معبراً عن حقيقة ما سنه الله في خلقه من أن «الأرض لله يورثها من يشاء من عباده»، وعن سنته كذلك في التحول وفي التمكين في نهاية المطاف لأهل الحق وفي جعل المال دائماً وأبداً لهم «والعاقبة للمتقين».. (الأعراف: ١٢٨)، فإن الآخر - فيما قد يتراءى للكثيرين - يتميز باليسر والوضوح، وبالبساطة والبعد عن الجدل الدائر واللفظ الحاصل حول صحة وجود موعود مسبق وموقوت ومعلق، لم أن ذلك كان «تفجور الشعوب» يعني: لما جرى منها ومن فرعون لما كذبوا بما جاءهم به موسى من قبل بالبينات، على ما ورد ذكره في التوراة السامرية وتحديداً في الإصحاح التاسع من سفر التثنية بالعدد الخامس والسادس، فقد جاء فيهما ما نصه: «ليس بذكائك ولا بسلامة قلبك أنت داخل لورثة أرضهم، بل لتفجور الشعوب، هؤلاء الله فأرضهم من بين يديك وحتى يثبت الأمر الذي أقسم لأبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فاعلم أن ليس لذكائك الله إلهك معطيك الأرض الحسنة هذه وورثة، إذ شعب قاسى العرف أنت..» وعلى تقدير أن ثمة موعوداً بالريادة والنبوة والإمامة لبني إسرائيل بحق، فهل كان ذلك على إطلاقه حتى يتسنى

لإسرائيل أن تتخذ منه ذريعة في أن تحتل أرض الغير وتهلك الحرث والنسل بزعم هذا البعد الديني والتاريخي؟.. وكيف وعلى أى أساس تم تحويله عنهم - وفق سنته تعالى في خلقه وعلى ما ألمح إليه النص السالف الذكر - إلى غيرهم؟.

ومهما يكن من أمر، فما أراه: أن عنونات هذا الكتاب المتعاقبة تهدف إلى تجلية الأمور المعماة في هذه القضية المصيرية، وهى مهما تغيرت فإن بعضها يكمل بعضاً، ولا يمكن فهم جميعها حق الفهم إلا بمعرفة مجموعة تلك الحقائق التى تضمنتها المادة العلمية لهذا الكتاب المتواضع، ذلك أن العثمانية التى طغت وأذهبت معها الدين والحق معاً فى نفوس السواد الأعظم من عامة الناس وخاصتهم، بل ومن جميع طوائف البشر إلا من رحم الله، هى التى جعلتهم بعيدين كل البعد عن تقصى حقائق ما فى هذا الكتاب المنكئ على نصوص الكتب المعتمدة والمتعبد بها لدى اليهود والنصارى والمسلمين، وسبها والوصول من خلالها إلى كلمة سواء.

والذى يجب أن يكون حاضراً دائماً وأبداً فى الأذهان: هو أن الله لا يرضى لعباده الكفر، ومن ثم فقد قضت حكمته أن لا ينال عهد الظالمين ولا ينال الظالمون عهده، ومضت سنته فى أن الأرض له يورثها عباده الصالحين الرحماء، تلك هى الحقيقة التى يمارى فيها البعيدون عن منهج الله وغير العارفين بسنته تعالى فى



خلقه، ولا سيما في معالجة مشكلة الشرق الأوسط التي علا فيها صوت الغوغاء، وانمحت بسببها لغة العقول وروح الشرائع، وراجت حولها دعايات وأكاذيب الآلة الإعلامية الصهيونية الجهنمية التي أشاعت بالباطل أحقية اليهود في تلك الأرض المقدسة وأذاعت به، وأقرت وارتضت في سبيل تحقيقه كل ما يفعله في عصرنا قتلة الأنبياء وعبد الطاغوت وإخوان القردة والخنازير ومن لا يرقبون في مسلم إثمًا ولا نعمة، ضد أصحاب هذه الأرض على الحقيقة، من استخدام كل ألوان البطش والعريضة، والتهجير والتدمير، وسفك الدماء والإبادة الجماعية واستخدام الأسلحة المحرمة دوليًا، والجس والسحق وقباحت كل ألوان التعذيب، وسلب الأرض وهتك العرض وإهلاك الحرث والنسل، بحيث لم يسلم من شرورهم طفل ولا شاب ولا رجل ولا امرأة ولا عجز ولا كهل.

وبأني هذا الكتاب الوثائقي ليميط اللثام عن مجموعة من الحقائق التي تكشف عن هذه السنن، وتناقش وتنفذ ما يجري على الساحة العربية والدولية الآن من لغط في أحقية بنى إسرائيل في أرض فلسطين أو أجزاء منها، وليضع هذا لما يجري على أرض هذا البلد العربي الإسلامي (فلسطين) وما يحدث من انتهاكات لأفئس ومقصدات المسلمين هناك بشكل دائم لا يبدو معه ولا تلوح في الأفق القريب

حباله نهاية، تلك الانتهاكات التي أضحت شاهدة عيان على أن هؤلاء المجرمين لا يريدون العيش - مع من احتلوا أرضهم وديارهم - في أمان، ولا يرومون ولا يسعون معهم إلى سلام، ولا يقنعون بما تحت أيديهم مما استلبوه من بلاد المسلمين التي آوئهم بعد أن طردوا من غيرها من بلاد الشرق والغرب شر طردة، وإنما يريدون - عن طريق ترويج الأكاذيب ولى الحقائق - تحقيق المزيد من مطالبهم وأن يكون الوطن العربي كله من النيل إلى الفرات بل والإسلامي كذلك، أسير شهواتهم ومرتع نزواتهم وعنصريتهم، وأن يدمروا مع ذلك أولى قبلى المسلمين وثالث حرمهم الشريفين، لينبؤوا على أنقاضه أسطورة طامعا تغفوا بها أسموها (الهيكل).. وإلى وحده تعالى المشتكى، (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

من هنا - ولا سيما في تلك الأيام التي يراد للصوت الإسلامي العربي في فلسطين وبشئى الوسائل والاضغوطات الداخلية والخارجية، أن يخفت أو يعترف لإسرائيل بحق احتلال الأرض والمساومة على حق هذا الشعب الضائع والمغلوب على أمره - كان لزاما أن تكشف الحقيقة كاملة غير منقوصة إن كنا نريد الوصول إليها ونريد معها الوصول إلى رضائه تعالى والجنة..

والله تعالى هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل ..



## تمهيد

أول ما تستدعيه الذاكرة المؤمنة عندما تُذكر فلسطين.. المسجد الأقصى والقدس الشريف، والسر في ذلك ببساطة شديدة يكمن في: ارتباط هذين المكانين بمعتقدات المسلمين وعباداتهم، وبجهادهم وبقراآتهم وبنبيهم، كما يُمثل في: ارتباطهما بوحدة الدين وانتقال السيادة والإمامة إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لكونها ونبيها أولى الناس بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، الذي طلب ذلك لذرئته عندما قال له ربه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، فأجابه سبحانه: ﴿قَالَ لَا يَنْبَغُ لَكَ عَهْدٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)، لكن ويتجح منطق التطير، بتردد دائما وأبداً على ألسنة زعماء أبناء صهيون وحاجاتهم، أن بيت المقدس ملك لشعب يهود، وأن القدس الشريف عاصمة دولتهم المزعومة.. وبفريقهم بذلك مساندة أمريكا والغرب لهم من جانب، وغفلة العرب والمسلمين وغيباب الحقائق عنهم من جانب آخر.

ونذكر ضمن هذه التصريحات ما جاء على لسان أحد رؤساء وزرائهم السابقين وهو يهود باراك الذي لم يكتف بالقول بأن مُستكون هناك أورشليم أكبر مما كانت عليه منذ الملك داود، ومستكون موحدة

ومعترفا بها من العالم كعاصمة لإسرائيل<sup>(١)</sup>، حتى أتبع القول بالعمل فسمح وقت أن كان رئيساً للوزراء<sup>(٢)</sup>، لزعيم الحزب المتطرف المعارض والذي أضحي رئيساً للوزراء فيما بعد آريئيل شارون - باعتباره أول زعيم يهودي يتعامل مع قضية القدس بجدية ويسعى للقضاء على الوجود العربي والإسلامي بها - بإرسال كتيبة من العسكر بلغ قوامها ثلاثة آلاف، لحمايته أثناء اقتحام المسجد الأقصى في رجب ١٤٢١هـ سبتمبر لعام ٢٠٠٠م، أي في ذكرى تحرير صلاح الدين للقدس في رجب ٥٨٣هـ سبتمبر ١١٨٧م.

ومنذ تلك اللحظة والعالم يشهد - دون أن يحرك ساكناً - حرب الإبادة الجماعية الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني المسلم، وحجم التدمير الذي تتعرض له بلاده بكل هجبة وعنصرية، كما يرقب الانحياز الأمريكي الأعمى والصمت الغربي المريب على إسرائيل وما تقوم به من أعمال عنوانية بربرية حتى على الأطفال والنساء والعجزة في بقعة هي عند المسلمين من أطهر بقاع الأرض.

---

(١) جريدة الأهرام القاهرية في ١٢١هـ رجب الموافق ٢٩/٩/٢٠٠٠ الصفحة الأولى.

(٢) في محاولة منه لتنفيذ مخططاته الأربعة لتهود القدس والإحاطة بها من كل جانب تمهيداً لها أسماء (مشروع القدس الكبرى) الذي يقضي حسب ما أعلنته الحكومة الإسرائيلية في سبتمبر ١٩٧٤ بتوسيع حدود القدس لتضم إليها ثلاث مدن و ٢٧ قرية عربية، وأصدرت الحكومة بشارته في ٣٠/٧/١٩٨٠ قانوناً يشر القدس الموحدة عاصمة لبنة لإسرائيل.



ومما تجدر الإشارة إليه وينبغي أن يعيه كل مسلم، هو أن رفع شعار (أن تكون النفس عاصمة لإسرائيل الموحدة) والعمل من ثم على تحريرها من سكانها العرب والمسلمين.. إنما ينبع لدى أولئك المسماة ورجال الدين من منطلق عقدي يتمثل في أنها الأرض التي وعدوا بها على ألسنة رسلهم، وقد تم التخطيط لهذه الانطلاقة منذ بداية هذا القرن على يد (هرتزل) الذي فكر في إقامة دولة يهودية سياسية، ثم عدل عن ذلك لما بدا له معارضة مؤتمر الحاخامات، وعدم رغبة يهود العالم في النزوح عن بلادهم التي استقروا فيها.

الأمر الذي دعاه لأن يعمل على تحويل الموضوع من قضية سياسية إلى قضية دينية بلهب بها عواطف جماهير اليهود، وقد رأى أن فلسطين هي المكان الوحيد الذي يناسب هذه الدعوة الجديدة، باعتبارها حسب ما تقضى به عقائد اليهود الباطلة (أرض الميعاد)<sup>(١)</sup>.

(١) وكانت بريطانيا قد عرضت عليه سنة ١٩٠٢م فكرة استيطان اليهود في (أوغندا) لاقتصاد منافعها وغناها، غير أنه رفض هذا العرض كما رفضه المؤتمر الصهيوني، ومن قبل عرض عليه وزير المستعمرات البريطاني تشامبرلين في أكتوبر ١٩٠٢م فكرة جعل الاستيطان في منطقة العريش بسيناء وأقل نظراً للصعوبات التي كانت حول النزاع على حدود سيناء مع الدولة العثمانية، كما لم تنجح فكرة جعله على ضفتي نهر الأردن، تلك الفكرة التي تبناها من قبل اليهودي الفرنسي (موسى هس) وألز هرتزل تنفيذ خطته - التي سكتها فيها بريطانيا بعد أن تصاحت هجرة يهود روسيا وأوروبا الشرقية إلى أرض فلسطين - وأيضاً في اعتباره ترفاً دينياً لم يكن هو شخصياً يؤمن به... الأمر الذي يحكم رغبة أوروبا في التخلص-

وانتصرت فكرة (هرتزل)<sup>(١)</sup> التي تضمنت - على ما جاء في وقائع المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في مدينة (بازل) السويسرية في سبتمبر من عام ١٨٩٨م - قيام دولة إسرائيل في فلسطين بعد خمسين عامًا، وقيام إسرائيل الكبرى التي تشمل على حد زعمهم الحدود التاريخية والدينية الممتدة من النيل إلى الفرات بعد مائة عام، وهي ما تسعى الآن جاهدة في سبيل تحقيقه حين أقدم حلفاؤها من الأمريكان والغرب على غزو العراق.. ودعا هرتزل في سبيل تحقيق فكرته، لإزالة السلطان عبد الحميد الثاني خليفة المسلمين، الذي كان يمثل العقبة الكؤود أمام تحقيق الحلم الصهيوني، وكان لهرتزل فيما بعد ما أراد، فقد احتضن المؤتمر لليهودي العالمي فكرته عام ١٩٠٥م أي بعد وفاته بسنة واحدة، وعمل اليهود من ساعتها على تقويض

---

= من اليهود بأي شكل مع إسقاطها بالمشروع الصهيوني الذي يهدف إلى شغل قبائل المسلمين والضبط عليها من جانب، وإلى زرع جسم غريب يستألف طوائفها وإسقاطها وفرواقها من جانب آخر، كما يفضي دعاوى القومية التي ترفع بها اليهود وبالتالي عدم صحة ادعاءاتهم حول أرض التبعدة من جانب ثالث.. ينظر (الإمبريالية والصهيونية) ديبشور نافع ص ٨٢ وما بعدها و(القدس حريية إسلامية) دفرج راشد ص ٢٠٧ وما بعدها.

(١) سبقه إليها الكاتب الألماني (موليسي هيسي) في عام ١٨٦٢م بعد أن تراجع عن فكرته التي أودعها كتابه (تاريخ البشرية) تلك الفكرة التي كان يقول فيها: إن شعب الله المختار ينبغي أن يخلق إلى الأبد، لينصع الطريق لحياة جديدة أكثر نقاء وظهورًا.





الخلافة الإسلامية، ومساعدتهم في كل هذا ومازالت، قوى كبرى حاقدة على الإسلام والمسلمين.

ومن يوم أن وعد (بالتور) وزير خارجية بريطانيا يهود العالم بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين في ٢/١١/١٩١٧م ليعطى من لا يملك وطناً لمن لا يستحق، والأحداث تتواصل بسرعة مذهلة.. فما أن أقامت إسرائيل دولتها في ١٥/٥/١٩٤٨م واعترفت بها روسيا بعد ثمان دقائق، وأمريكا بعد نصف ساعة، وقررت أن إسرائيل خلقت لتبقى.. حتى دخلت في الخامس من يونيو ١٩٦٧م في حرب مع جيرانها من العرب، استولت خلالها على القدس الشريف والضفة الغربية وغزة وجنوب لبنان ومرتفعات الجولان وأرض سيناء .

ثم ما لبث أن فجع العالم الإسلامي بعدها بـ (مناحم بيجن) بضيف إلى البعد السياسي الذي انتزعه الصهيونية دون أي مستند لوضع القدس، بعداً آخر دينياً.. وذلك أثناء تعقيبه على خطاب الرئيس (السادات) - رحمه الله - أمام الكنيست، حيث قال مؤكداً هذا الحق المزعوم: "إن حق إسرائيل في فلسطين حق أبدي تاريخي تشهد له الكتب، ومنها القرآن نفسه". وبعد استدلاله على دعواه الكاذبة، بقول الله تعالى على لسان موسى: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا

خامسين) (المادة: ٢٦)، أردف بقول "إن الله فرض لنا الأرض المقدسة دون سائر الخلق فلا يجوز لأحد دينياً أن يذاعها فيها"<sup>(١)</sup>.

ونسي هذا وكل من يردد قوله، بل وكل من انطلق عليه هذا الكلام دون أن يثبت بينت شعبة، ما حدثت به الأجيال جيلاً بعد جيل عن مكر هؤلاء اليهود منذ أن خلقهم الله، وعن ظلمهم الذي ورثوه كابراً عن كابر، وما جرت به سنة الله في أن الله تعالى ينصر الأمة العادلة ولو كانت كافرة ويمحق الأمة الظالمة ولو كانت مؤمنة.. نسي كل هؤلاء ومع كل ما ذكر، أن ﴿الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ (الأعراف: ١٢٨)، وأن سنة الله للماضية تقضى بأن البقاء للأتقى والأحفظ لتعاليم الرب واتباع أنبياء الله ورسله، على ما أفاده قول الله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لرسولهم أخرجنا من أرضنا أو لنعوذن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين\* ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ (إبراهيم: ١٢، ١٣)، يعني: لما نادى أمم الرسل في الكفر وتوعدوا رسلكم بالوقوع بهم، أوحى الله إليهم بإهلاك من كفر بهم من أممهم وتوريثهم أرضهم وديارهم وتوعدهم النصر.. وقوله كذلك: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض

(١) ينظر (القس قضية كل مسلم) د. يوسف القرضاوى ص ٩٧.



ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا \* سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسننتنا تحويلاً» (الإبراء: ٢٦، ٢٧).

يقول أهل العلم والتفسير: إن (سنة) منصوب على المصدرية، أي: سننا في ذلك سنة من أرسلنا قبلك من رسلنا.. إلخ، وهي أن لا ندع أمة تستفز رسولها لتخرجه من بين ظهرانيها، تثبت بعده إلا قليلاً، فالمسألة لله وأضيفت للرسل عليهم السلام لأنها سُنَّت لأجلهم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدْ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾، كذا ذكره الأوكسي والطبري<sup>(١)</sup>.

وإذا كان ذلك هو عنة مما جرى وفق سنة الله وما حصل لسائر الأمم الكافرة، فما يكون الحال لمن جمعوا - على مدار تاريخهم الطويل - مع إخراج الأنبياء والاعتداء عليهم بسائر أنواع الاعتداء، وقبض عليهم، التلمز على قتلهم والكفر بالرب وعبادة العجل والسقنض لجميع ما لم ير به الله تعالى؟.

ومصادقه في كتب القوم، ما جاء في سفر (لاويون ٢٥: ٢٣) من قول الرب في خطابه لبني إسرائيل: "والأرض لا تنبأ بتنة، لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي" .. وما جاء في سفر حزقيال

(١) روح المعاني ١٥/ ١٩٠ مجلد ٩ وينظر ١٣/ ٢٨٩ مجلد ٨ وجامع البيان للطبري ١٣/ ١٢٩ مجلد ٧، ١٥/ ٩٠ مجلد ٨

١١: ١٧ - ٢١ قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: إِنِّي أَجْمَعُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ وَأَحْشُرُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي تَبْدَنْتُمْ فِيهَا وَأَعْطَيْتُمْ أَرْضَ إِسْرَائِيلَ. فَيَكُونُ إِلَى هُنَاكَ وَيَزِيلُونَ جَمِيعَ مَكْرُهُاتِهَا وَجَمِيعَ رَجَاسَاتِهَا مِنْهَا. وَأَعْطَيْتُمْ قَلْبًا وَاحِدًا وَأَجْعَلُ فِي دَاخِلِكُمْ رُوحًا جَدِيدًا وَأُزْرِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِهِمْ وَأَعْطَيْتُمْ قَلْبَ لَحْمٍ. لَكِنِّي يَسْلُكُوا فِي فِرَاسِي وَيَحْفَظُوا أَحْكَامِي وَيَعْمَلُوا بِهَا وَيَكُونُوا لِي شَعْبًا فَإِنَّا لَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا. أَمَّا الَّذِينَ قَلْبُهُمْ ذَاهِبٌ وَرَاءَ قَلْبِ مَكْرُهُاتِهِمْ وَرَجَاسَاتِهِمْ فَيَبْنِي أَلْجَبَ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ\*.

كما نرى معشر يهود أن سنة الله تقضى بالآلا يمكن إلا لمن يقم العدل في الأرض، ويشيع الصلاح بين جنبااتها، كي تتسجم حركة الكون مع من فيه، وبذا يعمر الكون بذكر الله، ويشدو من فيه بتوحيده، إذ الكون وما فيه ومن فيه ما خلق إلا لهذا على ما جاء في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤)، وقوله:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

ونسوا كذلك أو تناسوا أن تاريخهم الأسود بماضيه البائس وحاضره البائس، ملطخ بدماء الأبرياء وملئ بانتهاك حرمانات رب الأرض والسماء، ومغم بالتآمر على أنبياء الله والصالحاء من عباده ممن يأمرون بالقسط من الناس بل وقتلهم في أكثر الأحيان، ومترع بكتمان وتحريف الكلم عن مواضعه، وحافل بضروب الظلم ومختلف



الجرائم، وتلك أمور تحول - من دون شك ووفق سنن الله في خلقه -  
دون التمكين في الأرض أو التمايز عن الخلق، ذلك أن الذي فضّلهم  
في وقت من الأوقات على العالمين، ووعدهم - إن هم أقاموا عهده -  
بالتمكن، هو الذي قضى على السنة رسله وفسى جميع كتبه  
- ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه - ألا يمكن إلا لعباده الصالحين،  
وآلا ينال عهده الظالمين، يقول الأصمّ سألت سعيد بن جبسر عن  
قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ  
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء : ١٠٥)، فقال: الزبور: التوراة  
والإنجيل والقرآن، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الزبور:  
الكتب التي نزلت على الأنبياء، والذكر: لم الكتاب الذي يكتب فيه  
الأنبياء قبل ذلك، وبمثله قال ابن جرير والثوري ومجاهد<sup>(١)</sup>.

وإذا كان أبناء صهيون يدّعون أن نصوص كتبهم، بل  
ونصوص قرآننا المبثري منهم ومن فعالهم، تشير إلى وعد قطعه الله  
على نفسه أن يمكن لإبراهيم ونسله من بعده في أرض فلسطين  
(أرض الميعاد)، فإن هناك مجموعة من الحقائق المهمة التي تجدر  
الإشارة إليها والتذكير بها، وتتمثل في:

(١) ينظر تفسير أحكام القرآن للقرطبي ٤/٥٢٩، وتفسير ابن كثير ٣/٢٠٧.

## الحقيقة الأولى

### تعليق موعود الله لبني إسرائيل على استيفاء الموعود

إن وعد الله بالسيادة والإمامة كان بالنسبة لبني إسرائيل وعداً مشروطاً بتنفيذ التعاليم، وبصون أوامر الرب ويحفظ العهد والمواثيق التي أخذت عليهم، وذلك بعد أن أتى الله إبراهيم رثده وكان عالماً ببره وإيمانه، وبعد أن منحه أرض الميعاد وجعلها في بنيه وذريته من إسحاق وإسماعيل قائلاً له: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركك، ولاعك لعنة، وتبارك فيك جميع قبائل الأرض. فذهب أبرام كما قال له الرب:.. هكذا كانت البداية على حد ما جاء في سفر التكوين - أحد أسفار العهد القديم في الكتاب المقدس - الإصحاح ١٢ العدد ١-٤.

ولقد أوضح القرآن ما أوضحتها الكتب السماوية الأخرى، أن استخلاف الأرض لأي إنسان وأمة، له ثمن لا بد من دفعه وتحمله، وينحصر ذلك الثمن في عبادة الله وحده وصون أوامره واجتساب نواهي، وذلك قوله سبحانه: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلكم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ (النور: ٥٥).



كما ذكر لنا المولى في غير ما سورة، تفاصيل ما كان لذرية إسرائيل بن إسحاق من تمكن إبان فترة صلاحهم، وكيف أن الله أورثهم - بعد أن كانوا مستضعفين - مشارق الأرض ومغاربها، وبوأهم - بعد ذل وقهر من فرعون وملئه - ميواً صديق، ومكثهم من أرضهم وديارهم وجناتهم، وإن كانت بالنسبة لبني إسرائيل - على ما يبدو - تجربة قاسية وامتحاناً صعباً، كشف عن جزع ولسوم في طباع سوادهم الأعظم أحس بهما موسى عليه السلام حينما بشوا شكواهم إليه من جراء ما عايشوه من بطش قال الله في شأنه: ﴿وقال الملا من قوم فرعون أتذر موسى ومن معه ليفسدوا في الأرض ويذكرك وآلتهك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين\* قللوا أودينا من قبل أن نأتيها ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ (الأعراف: ١٢٧-١٢٩).

والقصة باختصار أنه لما طال مقام موسى - عليه السلام - ببلاذ مصر وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه، وهم مع ذلك يكابرون ويماندون.. دعا عليهم بقوله: ﴿ربنا إنك آتيت فرعون ملاءة زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا

اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا  
العذاب الأليم﴾ (يونس: ٨٨).

وشاعت إرادة الله أن يجيب دعاءه، فأمره أن يخرج بني إسرائيل  
ليلاً من مصر وأن يمسى بهم خفية حيث يؤمر ونون إن من فرعون،  
الأمر الذي أثار حفيظته، وكان هذا فرعون الجبار العنيد قد تسلط  
عليهم، يستعملهم في أخص الأعمال ويكدهم ليلاً ونهاراً في أشغال  
وأشغال رعيته، ويقتل مع ذلك أبناءهم ويستحي نساءهم إهانة لهم  
ولحقاراً، وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل  
مملكته منه، فيكون هلاكه وذهاب دولته على يديه<sup>(١)</sup>.

وقد كان، فقد أغرقهم الله في اليم الذي فرقه لموسى فجازه هو  
ومن معه من بني إسرائيل، وأقر أعينهم وهم ينظرون إلى فرعون  
وإلى جنده وحاشيته من لولى الحل والعقد والوزراء والأمراء  
والكبراء والرؤساء وقد أغرقوا جميعاً في صبيحة يوم واحد، كما قال  
تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَمْسُومُونَكَ بِسُوءِ الْعَذَابِ

(١) وكان القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسون من قول إبراهيم حين  
ورد للنبيل المصرية، وجرى له مع جبارها ما جرى لما أراد أخذ زوجته سارة ليتخذها  
جارية، فسالها سبحانه بقدرته، وبشر إبراهيم ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون  
هالك فرعون مصر على يديه، فكانت القبط تبحث بهذا عند فرعون.. ينظر تاريخ  
لطبري ٢٨٨/١ والكامل لابن الأثير ١٠١/١ وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٢ ، ٣٩٣.





ينهبون أبناعكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم\*  
 وإذا فرقنا بكم البحر فأتجبناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴿  
 (البقرة: ٤٩، ٥٠)، وأورثهم بعد ذلك ديارهم وأموالهم وملكهم بعد أن  
 أخرج الله منها فرعون وملائته بلا رجعة، كما قال تعالى:  
 ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون\* وكنوز ومقام كريم\* كذلك  
 وأورثناها بني إسرائيل﴾ (الشعراء: ٥٧-٥٩)، وقال: ﴿كم تركوا من  
 جنات وعيون\* وزروع ومقام كريم\* ونعمة كانوا فيها فاكهين\*  
 كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾ (التغابن: ٢٥-٢٨).

ولكن ظلت نفوس بني إسرائيل مع كل ذلك، مشرقة ومتطلعة  
 وطالبة بلاد المقدس التي قصدها من قبل ترحيل إبراهيم عليه السلام،  
 مهاجرة من وطنه الأصلي بالعراق ووعدهم بها<sup>(١)</sup>، وجاءت الأوامر  
 إثر ذلك - بل ومن قبل إهلاك فرعون - تتراً على يد وعلى لسان  
 نبيهم موسى عليه السلام على ما ورد في نصوص كتبتهم من نحو

(١) بناء على وعد الرب الذي ورد ذكره في نحو قوله لإبراهيم: "نسلك أمتي هذه  
 الأرض" (تكوين ١٢: ٧ وينظر ١٢: ١-٤)، ومصدقه ما جاء في قوله تعالى حكاية عنهم  
 وعن فرعون: ﴿قلنا إن يستأجرهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً﴾ (الأنعام: ١٠٣-١٠٤)، فالأرض الأولى الموعودة  
 هي أرض مصر، والأرض الثالثة أرض الشام وهي الموعودة لبني إسرائيل يوعد الله  
 إبراهيم إياها... التحرير والتطوير لابن عثور ٢٢٨/١٥ مجلد ٧.

ما جاء في الإصحاح ٦ للعهد ١٧، ١٨ من سفر التثنية أن "احفظوا (يعني: إن كنتم تريدون ذلك) وصايا الرب إلهكم وشهادته وفرائضه التي أوصاكم بها"<sup>(١)</sup>. واعمل الصالح في عيني الرب لكي يكون لك خير وتدخل وتملك الأرض الجديدة التي خلف الرب لأبائك.

ومما يتضح منه كذلك أن الوصية بالوعيد بتوريث الأرض مشمولة بالوعيد إذا انقلبوا؛ سواء كان هذا أيام موسى أو غيره من الأنبياء<sup>(٢)</sup>. وما جاء في الإصحاح ٨ للعهد ١٧ - ٢٠ من نفس السفر: "لئلا تقول في قلبك: قوتي وقدرتي يدي اصططعت لي هذه الثروة. بل اذكر الرب إلهك أنه هو الذي يعطيك قوة لاصطناع الثروة لكي يسي بعهد الذي أقسم لأبائك كما في هذا اليوم. وإن سميت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها، أشهد عليكم اليوم

---

(١) وكان ضمن هذه الوصايا بعد عبادة الله والإحسان إلى القائلين وحفظ يوم السبت، ما جاء في سفر التثنية ٥: ١٦-٢١ "لكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك - وعبرة سفر الخروج ٢٠: ١٢ "لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك" - لا تقتل. ولا تزن. ولا تشرق. ولا تشهد على قريبك شهادة زور. ولا تشته امرأة قريبك. ولا تشته بيت قريبك ولا حقله..، فلن هم من كل ذلك؟ وأما أن لهم أن يعرفوا أن زوال النعمة وتمولها عنهم إنما كان بزوال أسبابها؟ وهلا اتفقوا مما سبق لهم علة وحيرة؟.

(٢) ليس هذا ما يمتثل واقع اليهود الذين كانوا ولا يزالون يعيشون فيه.



أنكم تبيدون لا محالة. كالشعوب الذين بيدهم الرب من أمامكم كذلك تبيدون لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إليكم".

ونظير ذلك نطق به التوراة السامرية، وفيها على غرار ما جاء في نص العبرانية الأخير: "ولئلا تقول في سرك: حيلى وعظم يدى اصطنعت لى الأيصار هذا. بل تذكر الله إلهك أنه المعطى لك القدرة على اكتساب الغنى حتى يثبت عهده الذى أقسم لأبائك، لإبراهيم وإسحاق ويعقوب كالיום هذا. وتكون إن نسيان تسمى الله إلهك فتضل فى اتباع آلهة أخرى وتعبدها وتسجد لها، أشهدت عليكم اليوم، أن هلاكنا تهلكون. كالشعوب الذين الله مهلك من قدامكم، كذلك تهلكون جزاء أن لم تسمعوا من أمر الله إليكم". وفى الإصحاح التاسع من نفس النسخة والسفر ٤-٦: "لا تقل فى سرك إذ يدفع الله إلهك إياهم من بين يديك قولاً: لذكأتى أنخلتسى الله لورثة الأرض هذه، ولقجور الشعوب هؤلاء الله قارضهم من بين يديك. ليس بزكائك ولا بسلامة قلبك أنت داخل لورثة أرضهم، بل لقجور الشعوب هؤلاء الله قارضهم من بين يديك وحتى يثبت الأمر الذى أقسم لأبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فاعلم أن ليس لزكائك الله إلهك معطيك الأرض الحسنة هذه ورثة، إذ شعب قاسى العرف أنت". وفى العدد الأول من نفس النسخة والسفر والإصحاح: "كل الوصايا التى لنا

موسيك اليوم تحفظون للامتثال حتى تبقوا وتكثروا وتكثلوا وترثوا الأرض التي أقسم الله لأبائكم".

وليس هناك أكثر صراحة في تعليق الجواب على الشرط وتوقف التمكن - سواء الذي حدث لهم أيام موسى وما أعقبها أم في عهد سليمان - على أمر الطاعة وحفظ الوصايا، مما جاء في سفر الملوك الأول ٩: ٣-٩ في مخاطبة الله لسليمان بن داود عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وفيه: قال له الرب قد سمعت صلاتك وتضرعت الذي تضرعت به أمامي، قدست هذا البيت الذي بنيته لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد وتكون عيناى وقلبي هناك كل الأيام. وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة، وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضي وأحكامي، فإني أقوم كرمي منكك على إسرائيل إلى الأبد كما كلمت داود أبك قائلا: لا بعدم لك رجل عن كرمي إسرائيل. إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبنائكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي - فرائضي - التي جعلتها أمامكم بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها، فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها، والبيت الذي قدسته لاسمي ألقيه من أمامي ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة في جميع الشعوب. وهذا البيت يكون عبرة، كل من يمر عليه يتعجب ويصغر ويقولون: لماذا صم الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت. فيقولون من أجل أنهم



تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بالهة  
أخرى وسجدوا لها وعبدوها، لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر".  
والسؤال: هل وفى بنو إسرائيل بمهودهم وموائقهم؟ وهل نفذوا  
تعاليم دينهم؟ وهل التزموا بأوامر أنبيائهم؟ وهل تغير حال أشعياءهم  
- فى واقعنا المعاصر - عن حال أسلافهم فى الأزمان الغابرة؟.

## الحقيقة الثانية

### إخلال بني إسرائيل بشروط موعود الله

إن للجواب المنصف عن الأسئلة - السالفة الذكر - والبعيد عن كل تعصب، بدعونا لأن نسوق - لإثبات نقض سوادهم الأعظم لجميع المواقف وخرقهم لجميع العهود وعصفتهم بجميع الأوامر وتأمرهم على جميع الأنبياء - طرقاً مما جاء في كتبهم وعلى السنة رسولهم، ذلك أن ما أحدثه الله لبني إسرائيل من نعم وتمكين ومن إنجاء وتفضيل على العالمين، كان ينبغي أن يقابل بالشكر والاعتراف بالجميل والالتكباب على عبادة الله وحده وعدم الإثراء به.

لكن ما حدث منهم كان على العكس من ذلك تماماً، فقد وقع منهم ما أحس به موسى عليه السلام وما نخوف منه، فما أن تجاوزوا معه البحر قاصدين ما اشتأبت إليه نفوسهم وتطلعت إليه أفئدتهم من دخول الأرض المقدسة، حتى تناسوا كل ما أوصاهم به ربهم على لسانه، وراحوا وهم في صحبته يؤملون أنفسهم بعبادة الأصنام، بل وشرعوا - نون ما حياء ولا استحياء - يطلبون ذلك منه، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْبَدُونَ عَلَى أَنْصَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ تَجْهَلُونَ \* إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتِّيرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا



يعملون\* قال أغير الله أبغىكم إليها وهو فضلكم على العالمين ﴿  
(الأعراف: ١٢٨-١٤٠).

وبعد أن قال لهم موسى كلمته ووعظهم بأن ما يطلبونه يعد  
جهنماً فاضحاً يجب أن يريأوا بأنفسهم عنه، وبعد أن أوصاهم  
وأرشدهم لما فيه صلاحهم، تعجل للذهاب لملاكاة ربه تحرقاً وشوقاً  
وطلباً لرضاء، واستخلف عليهم أخاه هارون ورجاء التفرق بهم  
ووصاه بالإصلاح وجمع الكلمة وعدم الإفساد، لكن أنى لهارون  
ولا لمئات أو حتى لآلاف من مثله أن تقلع دعوتهم مع قوم يجرى  
الكفر وإحاطة الرب به في نفوسهم مجرى الدم في العروق، لقد  
تحدث جميع الكتب السماوية عما جرى من بني إسرائيل عقب ذلك  
وذكرت أنه ما إن ذهب موسى لميقات ربه حتى أعلمه سبحانه من  
هناك، بأن قومه اتبعوا السامري واتخذوا العجل معبوداً لهم من دون  
الله، وذلك بعد أن فشلت معهم دعوة هارون، وبعد قوله لهم:  
﴿يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾  
(٩٠)، وبعد أن كان جوابهم له: ﴿لن نبرح عليه عاكفين حتى  
يرجع إلينا موسى﴾ (٩١)، الأمر الذي أوقع هارون في حرج شديد  
مع أخيه موسى، ظناً من الأخير أن هارون قصّر في نهيبهم عن

(١) ينظر في غير أي القرآن سفر للتوبة ٩: ١١-١٩.

عبادة العجل أو لم يحسن تنفيذ ما كلفه به كليم الله في قوله: ﴿اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (الأعراف: ١٤٢)، أو خشية أن يقول له موسى: ﴿فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ (طه: ٩٤).

وكان حاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط فالتقوا عنهم وعبدوا العجل! وذلك بعد أن صاغوه من الذهب والحلي الذي استلبوه من مصر واصطحبوه معهم، وكان هارون قد أشار عليهم أن يلقوا به في حفرة فيها نار فيجعلونه سبيكة واحدة، حتى إذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه ما يشاء<sup>(١)</sup>، لكن كان ما حكاه القرآن في قوله سبحانه: ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾، أي:

لما وعدكم على لساني، كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته بإيادكم على عدوكم وإظهاركم عليه وغير ذلك من أيادي الله، وقيل هو ما وعدهم به سبحانه من الوصول إلى جانب الطور الأيمن، وما بعد ذلك من الفتح في الأرض والمغفرة لمن تاب وآمن، وغير ذلك مما وعد الله تعالى أهل طاعته، (القطال عليكم العهد)، بنسيان ما سلف من نعمه وما بالعهد من

(١) ينظر تفسير ابن كثير ١٦٥/٣ - ١٦٦.





قدم، «إم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فاختلعتُم موعدي»<sup>(١)</sup>، وكان الغضب الذي أصابهم بإرادتهم واقتنائهم، أن أنلهم الله ولم يقبل منهم توبة حتى يقتل بعضهم بعضًا كما قال تعالى: ﴿فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِكُمْ﴾ (البقرة: ٥٤).

وجاءت تصريحات التوراة والإنجيل والقرآن بعبادة القوم ومن تلاهم من الأبناء والأحفاد لغير الله، وبقتلهم الأنبياء بغير حق، وبقتلهم الموثوق التي أخذها الله عليهم في معظم فترات حياتهم.. مما يعنى أن ما حكى عنهم في هذا الصدد، هو مما لا يستطيعون إنكاره أو تكذيبه، وهو عينه الذي أدى بهم إلى إيقاع وعيد الله بهم من تثبيت ومحق كانوا هم السبب فيه.

ففي سفر الملوك الثاني ١٧: ١١ - ٢٠ "عملوا أمورًا قبيحة لإغاضة الرب. وعبدوا الأصنام التي قال الرب لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر. وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا - أي بينهما - عن يد جميع الأنبياء قائلًا: ارجعوا عن طرقكم للرذيلة واحفظوا وصاياي - فرائضي - حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدي الأنبياء. فلم يسمعوا بل صلبوا

(١) السابق ٣ / ١٦٦ وروح المعاني للكرسى ١٦ / ٣٥٨ من المجلد التاسع.

أقبحهم كآفة آياتهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم. ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آباؤهم وشهاداته التي شهد بها عليهم، وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم. وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وصلوا لأنفسهم مسبوكات عجائز وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل. وعزّروا بنيهم وبناتهم في النار وعرفوا عراة وتفاطوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عيني الرب لإغاظته. فغضب الرب جدا على إسرائيل ونحاهم من إمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده. ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب إلههم بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها. فذلل الرب كل نسل بنى إسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طردهم من أمامه، فهل بعد تحدى الرب وإغاظته وإعلان الكفر به وعبادة العجل والأصنام وجند السماء وغير ذلك من دونه، من ذنب؟.

وعلى لسان موسى كلم الله ورد في سفر التثنية ٩: ٢٣، ٢٤ "صيتم قول الرب إلهكم ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله. قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم"، وفي ٣١: ٢٧-٣٠ يقول: "إني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة، هو ذا وأنا بعدُ حي معكم، اليوم قد صرتم تقاومون الرب، فكم بالحرى بعد موتي. اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفانكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأنشد عليكم



السماء والأرض. لأننى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيفون عن الطريق لأذى أوصيتكم به، وبصبيكم الشر فى آخر الأيام لأنكم تعملون للشر أمام الرب حتى تنظفوه بأعمال أيديكم. فنطلق موسى فى مسامح كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا التشديد إلى تامة، وأقسام عليهم بذلك حجة الله.

وعلى لسان عيسى روح الله جاء فى إنجيل متى ٢٣: ٣١-٣٣ أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء فتلة الأنبياء . فاملتوا أنتم مكياي أبايكم. أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دبلونة جهنم'.

وما بين هذين للتبيين من أولى العزم، من زمن امتد بهم عشرات القرون، وضم خلاله مئات بل آلاف الأنبياء، ﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فریقا كذبوا وفریقا یقتلون﴾ (المائدة : ٧٠).

ونذكر مما ورد على لسان بعض أولئك الأنبياء وفى أسفارهم، ما جاء فى سفر الملوك الأول ١٩ : ٩-١٠ من قول الرب لإيليا (إيليا عليه السلام):

«ما لك هاهنا يا إيليا. فقال: قد غرئتُ غيرة للرب إله الجنود، لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهده ونقضوا ميثاقه وقتلوا أنبياءه بالسيف، فبقیت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها.. وسفر إشعياء وعلى لسانه ٢٨ : ١٤-١٥ فى عبارات تحمل البشارة بمقدم

النبى محمد صلى الله عليه وسلم منقذ البشرية من شرورهم: "اسمعوا كلام الرب يا رجال الهزأ ولأه هذا الشعب الذى فى اورشليم. لأنكم قلتم قد عقدنا عهداً مع الموت وصنعنا ميثاقاً مع الهاوية، السوط الجارف إذا عبر لا يأتينا لأننا جعلنا الكذب ملجأنا وبالفعل استترنا".  
وسفر إرميا ٢: ٤-٥-٧-٩-١٠ وعلى لسانه فى عبارات تحمل أيضاً الإشارة والبشارة بمقدم رسول الرحمة وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه ونبي من هم أهل لحمل رسالة الله وتنفيد أوامره ووصاياه:

"اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل.. ماذا وجد فى آبائكم من جور حتى ابتعدوا عنى وصاروا وراء الباطل وصاروا باطلاً.. وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها فلكنتم ونجستم أرضى وجعلتم ميراثى رجساً.. لذلك أخاصمكم بعد يقول الرب، وبني بنكم أخاصم، فاعبروا جزائر كنيتهم وانظروا وأرسلوا إلى قيدر<sup>(١)</sup>، يعنى جد النبى محمد من جهة إسماعيل، كناية عن إرساله ﷺ وتحول النبوة إليه بدل بنى إسرائيل، و(كنيتهم): اسم بنو زمزم، سميت بذلك لأنها لما اندفقت بعد جرحهم، صارت مكتومة حتى أظهرها عبد المطلب، وفى حديث زمزم: (إن عبد المطلب رأى فى المنام قيل: احفر كنيتهم بين القوت والنم)<sup>(٢)</sup>.

(١) لسان العرب: مادة (كتم) ص ٣٨٢٤ من المجلد الخامس ط دار المعارف.



وفى إرميا ٥ : ١٩ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٥ : " تقولون لماذا صنع الرب إلها بنا كل هذه، نقول لهم كما أنكم تركتموني وعبدتم آلهة غريبة فى أرضكم، هكذا تعبدون الغريباء فى أرض ليست لكم.. اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعنيم الفهم الذين لهم أعين ولا يبصرون، لهم آذان ولا يسمعون. أيأى لا تخشون.. وصار لهذا الشعب قلب عاص ومتمرّد، عصوا ومضوا.. آثامكم عكست هذه وخطاياكم منعت الخير عنكم". وفى ١٩ : ٥ - ٦ - ٧ - ١١ - ١٥ منه:

"وبنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا أبائهم بالنار - يعنى جهنم لأنهم تسببوا لهم فى ذلك - محرقات للبعل الذى لم أوصى ولا تكلمت به ولا صعد على قلبي. لذلك هيا أيلم تاني.. أنقض مشورة يهوذا وأورشليم فى هذا الموضع وأجعلهم يسقطون بالسيف أمام أعدائهم ويبيد ظالمى نفوسهم وأجعل جثثهم أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض.. هكذا أكرس هذا الشعب وهذه المدينة كما يكسر وعاء الفخارى بحيث لا يمكن جبره بعد، وفى توفة ينفثون حتى لا يكون موضع للدفن.. ها أنذا جالب على هذه المدينة وعلى كل قراها كل الشر الذى تكلمت به عليها لأنهم صلّبوا رقابهم فلم يسمعوا لكلامي".

وفى سفر دانيال وعلى لسانه ٩ : ٤ - ٩ ، ١١ جاء قوله حكاية على لسان حال من أرسل إليهم من بنى إسرائيل: "صلبت إلى الرب

إلهي، واعترفْتُ وقلتُ: أيها الرب.. أخطأنا وأثمنّا وعملنا الشر وتعدنا وحدنا عن وصاياك وعن أحكامك. وما سمعنا من عبيدك الأنبياء.. كل إسرائيل قد تعدى على شريعتك وحادوا لنلّا بسمعوا صوتك، فسكبت علينا اللعنة والحلف المكتوب في شريعة موسى عبد الله لأننا أخطأنا إليه.. وفي سفر هوشع وعلى لسانه أيضًا ٤: ١-٣: "اسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل، إن للرب محاكمة مع سكان الأرض، لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض. لعنَ وكذب وقتل وسرقه وفسق يعتقون، ودماء تلحق دماء. لذلك تسوح الأرض ويذبل كل من سكن فيها مع حيوان البرية وطيور السماء، وأسماك البحر أيضًا تنزع".

وفي سفر عاموس ٢: ٤: "رفضوا ناموس الله ولم يحفظوا فرائضه وأضلّتهم أكاذيبهم التي سار أبائهم ورائها".

وفي سفر حبقوق ٢: ١٢ "ويل للبناني مدينة بالدماء وللمؤسس قرية بالإثم.. وفي سفر صلفنيا ٣: ١-٤ "ويل للمتمردة المنجسة المدينة الجائرة. لم تسمع الصوت لم تقبل التأديب لم تتكل على الرب لم تقترب إلى إلهها. رؤساؤها في وسطها أسود زائرة قضاتها ذناب مساء لا يبقون شيئاً إلى الصباح.. كهنتها نجسوا القدس خالفوا الشريعة.. وفي سفر زكريا: ٧: ٩-١٢، ١٤ "رفضوا قضاء الحق واعملوا إحساناً ورحمة، كل إنسان مع أخيه. ولا تظلموا الأرملة



ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير ولا يكر أحد منكم شراً على أخيه في قلبكم. فليؤا أن يُصغُوا وأعطوا كُتُفًا معالدةً وتَقْلُوا أذَانهم عن السمع. بل جعلوا قلوبهم ماساً لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود.. وأصغفهم إلى كل الأمم الذين لم يعرفوهم، فخربت الأرض وراتهم لا ذاهب ولا آتب فجعلوا الأرض يهجة خراباً..

وعلى غرار ذلك وردت آيات كثيرة توضح هي الأخرى نقض بني إسرائيل للمواثيق والعهود، بل وتنص على كثير مما تضمنته تلك المواثيق من بنود كم كانت ستعود عليهم بالخير والنفع في أمور دينهم ودنياهم وأخراهم لو أنهم أقاموا حكم الله فيها، لكن لتوليهم وعصيانهم عوقبوا من الله بما استحقوا، نذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ\* ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ\* وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة: ٦٣-٦٥)، وقوله: ﴿وَإِذ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (البقرة: ٩٣)، وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا

الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً\* فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً\* وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً\* وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم..﴾ (النساء: ١٥٤-١٥٧)، وقوله: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنهم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل\* فيما نقضهم ميثاقهم لعاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم..﴾ (المائدة: ١٢-١٣)، والآيات في ذلك في القرآن وفي الأسفار أكثر من أن تعد، وحسبنا منها ما ذكرنا.

فماذا ينتظر لقوم هذا حالهم مع جميع من أرسلوا إليهم؟!، وإنى لأكاس لم يحققوا في أنفسهم فعل الشرط، أن يتحقق لهم من قبل الرب، جواره وجزاؤه؟.





## الحقيقة الثالثة

موعود الله لبني إسرائيل كان موقوتاً  
بفترة زمنية محددة

وكما كان وعد الله لبني إسرائيل مشروطاً بوصايا وبعهود لم يصونوها، ومنوطاً بتعاليم ومواثيق لم يراعوها.. فقد كان موقوتاً كذلك بفترة زمنية محددة، ومرهوناً بانقضاء هذه الفترة التي شاء الله لها أن تختتم بنبي الله عيسى عليه السلام الذي تأمر بنو إسرائيل على قتله هو الآخر وصلبه - على نحو ما تأمروا على قتل غيره - لولا أن رفعه الله إليه ولقى شبهه على غيره.

لذا كان مجيء عيسى عليه السلام - بعد أن تناوب عليهم ومن بنى جلدتهم، لكن دون جدوى، عند غير قليل من الأنبياء والمصلحين - كان مجيئه محاولة أخيرة لإرجاعهم إلى سابق عهدهم حتى ينزعوا إلى صبغة الله، وإلى حكمه وشريعته، ولا يرغبوا عن ملة آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وتمهيداً في الوقت ذاته لمرحلة جديدة يتواصل عندها وحى السماء إلى الأرض، وتستمر بالتالي إلى الأبد.. الأمر الذي يندرج بخطورة ما وصل إليه القوم من ختم على القلوب من جراء غلقها أمام كل خير، ويؤذن بتفقد الأمل في إرجاع

الأمر على يد هؤلاء مرة ثانية إلى ما كان عليه، ويعنى كذلك - وهذا هو الأهم - أن انتهاء منتهم التى قدرها الله لهم لوراثة الأرض والنبوة له ما يبرره.

وبفسر لنا ذلك - أعنى فقدان الأمل فى إصلاح بن إسرائيل - سر تركيز دعوة عيسى عليه السلام على التبشير بنبي آخر الزمان، فى إنجيل يوحنا ١٤: ١٥-١٨، ٢٥، ٢٩، ٣٠ وما بعدها بقول لحوارييه: "إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى.

وأنا أطلب من الأب فيعطيك معزيًا آخر ليملك معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه مأكث معكم ويكون فيكم. لا أترككم يتامى.. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزى الروح القدس<sup>(١)</sup> الذى سيرسله

(١) هذا نص ما جاء فى الطبعات المترجمة من اليونانية، لكن اسم المشر به فى طبعات ١٨٢١م، ١٨٢٣، ١٨٣١، ١٨٤٤، وترجمة الطورى يوسف عون جاء بلفظ (روح الحق) و(فارقليط)، أو (بارقليط) والأخيران على ما تقتضيه الترجمة الحرفية اليونانية يونيان: (أحمد).. كما تعنى كلمة (المعزى): المعلم، وهى مترجمة عن اللفظ اليونانى (بيركلوطوس) أو (بريقيتوس) وليس (باركلى طوس) بالألف، وشدة فرق، إذ الأولى وقد عربت بلفظ (فارقليط) تعنى كما قلنا: (أحمد)، وهو المطابق لما جاء فى قول الله سبحانه عن عيسى: «ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد» (الصافات: ٦).. وقد ذكر الشيخ عبد الله الترجمان - وكان مسيحيا وأسلم سنة ٨٢٣ تقريبا - فى كتابه (تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب) أن هذا اللفظ كان مبيحا فى إسلامه، فقد خدم عشر سنين عند قسيس يدعى (نقلاومرتيل)، وعندما سأله عن المقصود بهذا اللفظ قال له: نبي المسلمين، =



الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم.. وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون. لا تكلم أيضا معكم كثيرا لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء.

وفيه ١٥: ٢٦-٢٧: "متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب يلتحق بهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء.. وفيه على لسان المسيح عليه السلام ١٦: ٥-٨، ١٢-١٤: "لما الآن ماض إلى الذي أُرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي. لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسلته إليكم. ومتى جاء ذلك يوبخ العالم.. إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذلك روح الحق

---

= ولما سأله ثانية: لم لا تسلم إن؟ تعال له بأعذار وأهبة، سألها الترجمان في كتابه المذكور.. وصنف الله القائل: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) (الألغام: ١٢٥).. وجمهورهم أنه المخلص، ولا غرو في (محمد) هو بالفعل مخلص الناس من التكفر إلى الإيمان ومخرجهم من الظلمات إلى النور، كما أنه المعلم لكل شيء، حتى قال يهودي لبعض الصحابة فيما أخرجه مسلم وغيره: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخرافاء، قال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل أحدنا القيلة ببول أو غائط، ناهيك عن إثباته بجميع الأعمال الربانية والأخلاق المرضية، وتحصيله جميع مصالح الدين والدنيا والآخرة.

فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية. ذلك يمجدي لأنه يأخذ مما لى ويخبركم<sup>(١)</sup>.

فقول عيسى عليه السلام: إن الأب يعطيكم معزياً آخر، لا يعنى إلا أن يكون ثانٍ لأول يكون قبله، ومعلوم أنه لم يكن معهم فى حياة المسيح إلا هو، ولم يأت بعده سوى النبى محمد ﷺ، فتعنين أن يكون هو المراد بقول عيسى عليه السلام.. وقوله: أيمكت معكم إلى الأبد، إنما يكون لما يذوم ويبقى معهم إلى آخر الدهر، وبداية أنه لم يُرد بقاء ذاته، فعلم أنه أراد بقاء شرعه وأمره، وهذا يبين أن المباشر به المشار إليه بقول عيسى: (معزياً آخر)، صاحب شرع لا يسخ، بل يبقى إلى الأبد بخلاف المتحدث بذلك وهو عيسى نفسه الذى أعلن عن انتهاء مهمته التى لوكلها إلى صاحب البشرى ﷺ، كما يبين قول عيسى عليه السلام: (معزياً آخر)، أن هذا الآخر المزمع مجيئه لم يكن معهم فى حياته عليه السلام وإنما يكون بعد ذهابه وتولييه عنهم.

أما أنه "لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به"، فهو ما ترجم له وفسره ما جاء فى الكتاب العزيز: ﴿وما ينطق عن

(١) ينظر شرح هذه القشارات (إظهار الحق) ١١٨٥/٤ - ١٢١٣، و(محمد نبى الإسلام)

ص ٢٦-٢٩، و(الجواب تصحيح) ٨١٦/٢.

الهيوى \* إن هو إلا وحى يوحى﴾ (تفسير: ٣، ٤)، وذلك كله - بالطبع - مما لا ينطبق إلا على محمد عليه سلام الله، صوناً لقول المسيح عيسى عليه السلام من الخلل أو الكذب، لو من ترك قومه (يتامى) - على حد قوله السالف الذكر - بغير نبي يتكفل بأمورهم، إذ هو صلوات الله عليه، القائل عن نفسه فيما رواه أحمد في مسنده ٥: ٢٦٢: (أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى أخى عيسى)، ومعلوم بالضرورة أن دعوته نعم أمته على نحو ما نعم كل من آمن من أهل الكتاب بدعوته.

أما كون العالم "لا يستطيع أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه"، فلكونه عليه السلام بُعث بالتوحيد في زمن غلب فيه الجهل وعبادة الأوثان وبيوت النار والقول بالثالوث، وهو غاية المنافاة والبعد عما جاء به، ولذلك قال من بعث فيهم من أهل الشرك: ﴿لجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجيب﴾ (م: ٥) كذا ذكره القرطبي ص ٢٠٣.

وقوله "لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العالم - وفي بعض النسخ (أركون العالم) - يأتي وليس له في شيء"، إنما هو إشارة تعنى ضمن ما تعنى، أنه سيأتى بعد المسيح نبي آخر للزمان - وليس إلا محمداً صلى الله عليه وسلم - فتكون له الكلمة النافذة، ويسود العالم باطنياً وظاهراً وبطاع في السر والعلاقة في محياه وبعد

معانته، في جميع الأعصار وأفضل الأقاليم شرقاً وغرباً، يُظهر توحيد الرسل قبله ويصدقهم فيما بعثوا به وله وبنوه بذكرهم وتعظيمهم.. وأنه سيثبت التوحيد في قلوب الناس جميعاً ويعلمهم كلمة التقوى وشهادة الحق وأن الأمر كله لله، وهو في معنى قوله تعالى في مخاطبة محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ (ال عمران: ١٢٨)، وقوله: ﴿قل لا أقول لكم عندى خزان الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي..﴾ (الأنعام: ٥٠)، وهذا يعنى ضمناً تكريمه عيسى عليه السلام مما نسب إليه من ربوبية أو ألوهية.

أما توبيخه صلى الله عليه وسلم للعالم فمائل فى توبيخ من ذكرنا لكونه جاء وقد وجد الجميع ضالين، وفى هذا غاية التعظيم والمدح له والتأكيد على اتباعه صلوات الله عليهم أجمعين.

ومصادق ذلك فيما جاء فى كتب القوم ما ورد فى سفر التكوين ٤٩: ١٠ "لا يزول قضيب من يهوذا ومشرع من بين رجله حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب"، أى يزول الملك من اليهود بأسرهم بعد فترة من الزمان وعلى وجه التحديد بعد تمام حكم موسى وعيسى - عليهما السلام - وإلى أن يتم ذلك فسيظل ملك اليهود فى سلالة يهوذا أكبر أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام، وسيكون آخر عهدهم بالملك والنبوة على يد (المشرع) إشارة إلى المسيح عيسى



- عليه السلام - فإذا جاء نبي الإسلام (شـيـلـون) الذي استعلن  
- بالفعل - من جبال بني هاشم التي كان يتحدث فيها ويتعبد،  
والسماء والمعروفة بجبال فاران<sup>(١)</sup>، والذي اجتمعت إليه - حقاً -  
بعد انتظار، شعوب العالم، والذي خضعت له - صدقاً - عن طريق  
الفتوحات سائر الأمم.. يزول ملك بلى إسرائيل ويبطل العمل  
بالتوراة<sup>(٢)</sup>..

وابتداء على كل ما سبق فإن سال محمد بن عبد الله عليه سلام  
الله، يُعد من دلائل صدق عيسى وموسى - عليهما السلام - ولو لم  
يظهر ليطلت نبوتهما بل وليطلت نبوات الأنبياء، لتبشيرهم جميعاً  
بنبوته عليه السلام، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ  
لَمَّا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ  
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا  
أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

(١) أي (بكرة) بالجزيرة كذا في معجم البلدان للعمري ٦/ ٤٠٧، وتنتظر البشارات التي  
جاءت بهذا الصدد في إظهار الحق ١/ ١١٣٤، ١١٣٥، و(محمد نبي الإسلام) ص ٩، ٢٥.  
(٢) ينظر هداية البحاري ص ٩٧ وإظهار الحق ١/ ١١٣٨، ١١٤٢ و(محمد نبي  
الإسلام) ص ٥ و(في الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين) ص ١٢١، ١٢٢ وكلامهما  
للطهتاري.

فظهر نبوته صلى الله عليه وسلم تصديقاً لنبوءاتهم وشهادة لها بالصدق، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى في قوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصْدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات: ٢٧)، فلئن المرسلين بشرُوا به وأخبروا بمجيئه، فمجيئه تصديق لهم إذ هو تأويل ما أخبروا به، كما أن تصديقه المرسلين شهادة منه بصدقهم وإيمان بهم، وعليه فصدقهم كان بمجيئه وبشهادته، ومثل هذا قول المسيح لبنى إسرائيل: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (آل عمران: ٦).

وقد أدرك هذه الحقيقة كل من آمن من أخبار اليهود وقساوسة النصراني وغيرهم من دعاة الحق والخير والصلاح والإصلاح<sup>(١)</sup>، بل وشهد لهذه الحقيقة ذاتها كل من أقر بنبوته ممن لم يدركه، أو سمع به وكان مانعه من الإيمان به الحقد والبغى والحسد، أو خوف ضياع الملك والسيادة.

ونذكر من ذلك فيما يخص قضية انتقال موعود الله لبنى إسرائيل، ما جاء عن يونس بن بكير عن سلمة بن يسوع عن جده

(١) لقد دخل في دينه من لا يحصى عددهم من أرباب القول والحكماء، ومن الفلاسفة والعلماء... وينظر في ذلك كتاب (في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين) للمفتي محمد عزت الطهطاوي، وهو كتاب مهم في باب وجوب القراءة، فقد حوى شهادة ما يربو على ١٢٥ من أسلموا وأسلمت اللثام عن أسباب وملامح وتقصص إسلامهم.





قال: قال يونس، وكان نصرانيا فأسلم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران:

(بسم الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران، إني أحمد إليكم الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد: - فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب.. والسلام)، فلما أتى الأسقف الكتاب وقراه فظع به ودُعر دُعرًا شديدًا، فبعث إلى رجل من أهل عمان يقال له شرحبيل بن وداعة، وكان من همدان، ولم يكن أحد يدعى إلى معضلة قبله، فندفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه، فقال الأسقف: ما رأيك يا أبا مريم؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة<sup>(١)</sup>.. إلى آخر ما جرى بينهما.

ونظيره ما جاء عن محمد بن سعد قال: أخبرنا علي بن محمد عن أبي عبيدة بن عبد الله، وعبد الله بن محمد بن عمار بن ياسر وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: سكن يهودي

(١) يشير - ربما - إلى قول الله لإبراهيم: وأما إسماعيل، فقد سمعت لك فيه. ها أنذا أبورك.. الخ، وما جاء من مثل ذلك في حق هاجر عظمها السلام وسائر نسله.

بمكة يبيع بها تجارات، فلما كانت ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش: هل كان فيكم من مولود هذه الليلة؟ قالوا: لا نعلمه، قال: انظروا يا معشر قريش وأحصوا ما أقول لكم، ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة أحمد، وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات<sup>(١)</sup>، فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه، فلما صاروا في منازلهم ذكروه لأهلهم، فقليل لبعضهم: ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماء محمدًا فأتوا اليهودي في منزله، فقالوا: علمنا أنه ولد فينا غلام، فقال: أهد خبري أم قبله؟ فقالوا: قبله واسمه محمد، فقال فاذهبوا بنا إليه، فخرجوا حتى أتوا أمه فأخرجته إليهم فرأى الشامة في ظهره ففُشِيَ على اليهودي، ثم أفاق، فقالوا: ما لك؟ ويلك! فقال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم، ففازت العرب بالنبوة، أفرحتم يا معشر قريش؟ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب<sup>(٢)</sup>، وهذا هو دليهم مع الحق وأهله، يعرفون الحق ويكنون لأهله بغيًا وحسدًا من عند أنفسهم وخوفًا على زوال رياستهم وأموالهم غير مكتفين بكفرهم به.

(١) إلى هذا الحد كانوا يعلمون بمقدم رسول آخر الزمان، بل ويعرفون الوقت الذي سيحدث فيه، والعلامات التي تميزه وتكون دليلًا على صدق رسالته.

(٢) والقصة لوردها بسند الحسن، ابن حجر في كتابه فتح الباري ٤/١٥١ باب علامات النبوة في الإسلام، وينظر في شأنها بداية المجازي ص ١٨٨، ١٨٩ وكتاب إلى الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين ص ١٠٠، ١٠١ و(علامات النبوة) لعبد الملك الكلبى ص ٦٩٠.



وهنا يستطرد السيد المسيح مصرحاً بذلك وكاشفاً عما يرمى إليه هذا المثل، وموجهاً الكلام إلى تلاميذه الذين هم من بنى إسرائيل، فيخبرهم بأن ملكوت الله المتمثل في إرث الأرض والنبوة سيلزع من بنى إسرائيل ليعطى لأمة إسماعيل لتعمل أثماراً<sup>(١)</sup>، ولتصير رأس الزاوية من قبل الرب، وفي ذلك بيان شافٍ كافٍ لمن يستحق الوعد ويخلف بنى إسرائيل فيه من بعد انقضاء ميثاقهم فى ملكون علم الله سبحانه.

فهل يعقل معشر يهود - وفى ميثاقهم أولئك الزاعمون ملكية بيت المقدس من الحاخامات ومن والاهم من المتعصبين والمتشجنين - هذا المثل المضروب لهم، فيكفوا عن المطالبة بما ليس لهم بموجب ما جاء فى الكتاب المقدس وعلى ألسنة أنبيائهم؟ وهل حان الوقت لكى يعى أولئك المعتكون على الحرمات والمقدسات وأصحاب الأرض، ما جاء فى كتبهم وما شهد به كبارهم وأحبارهم ممن زامنوا بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ورأوا فيه من العلامات ما جعلهم يقررون ويعترفون بحقيقة الأمر؟ أم أن ما فشل فيه الأسلاف الذين رفضوا الإذعان لأمر موسى بدخول الأرض المقدسة - لتلى

(١) ينظر (إظهار الحق) لرحمت الله الهندى ٤ / ١١٢٨ - ١١٨١ و(محمد نبي الإسلام فى تنويره والإنجيل والقرآن) لمحمد عزت الطهطاوى ص ٣٢ وما بعدها.

هي في الأصل أرض عربية - قاتلين له: ﴿إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ .  
(المائدة: ٢٤)، يريد الخارجون على تعاليم الرب والمتمردون على أوامره من الأحفاد - عن طريق القتل والتشريد والمذابح الجماعية وسفك الدماء وإهلاك الحرث والنمل - أن يحرقوا في الوقت الضائع وبعد قوات الأوان، قصب السيق في سلبه ونهبه؟.

على أن موعود الله لبني إسرائيل، لم يكن مقصوراً على ذلك الوعد الموفوت بامتلاك الأرض وتوريث النبوة، الذي كان لهم قبل تحوله عنهم.. فقد وعدهم الله كذلك بمحبته إن هم آمنوا به وحفظوا وصاياه، كما وعدهم إن هم فعلوا ذلك وآمنوا برسله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، بالرزق الوفير ويتكفّر السيئات ويدخل الجنة، سواء كان ذلك قبل انتقال موعوده لهم بالأرض والنبوة وتحوله عنهم لم بعده، جاء ذلك على لسان كل من عاصرهم من الأنبياء، فمن غير ما ذكره موسى مما سقنا بعضه في صورة التشرط والجزاء، جاء على لسان عيسى عليه السلام في إنجيل يوحنا ١٤ : ١٥ "إِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ".

وفي القرآن الكريم قوله جل ذكره: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ (البقرة: ٤٠)، وقد نقل القرطبي عن الحسن وقتادة أن المراد بالعهد قوله: ﴿وَلَقَدْ



أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ويعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لأن أقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزتموه وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا تكفرون عنكم سيئاتكم ولا تظلمون جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾ (المائدة: ١٦)، ونظيره ما جاء في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَاسِئْذَانَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ \* وَلَوْ أَنَّهُمْ آتَمُوا الثَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْبَسُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ...﴾ (المائدة: ٦٥، ٦٦).

وأهل العلم والتحقيق على أنه عام في جميع أوامره ونواهيه ووصاياه، ويدخل في ذلك - بالطبع - الإيمان بمحمد الذي ورد ذكره في التوراة والإنجيل والذي لا يصلح لأحد إيمان بغير الإيمان به ولا تكتب له نجاة سوى بالإيمان بما أنزل إليه من ربه.

وعليه فللذي كان من الواجب أن يكون محط اهتمام بني إسرائيل منذ بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وإلى يوم أن يرث الله ومن عليها، ولا سيما مدعى التكين منهم؛ ممن هم الآن على قيد الحياة ونخص بالذكر منهم حاخاماتهم ومن أطلقوا على أنفسهم أمناء الهيكل، هو إيفلا ما تبقى من هذه العهود والوفاء بها، حتى بذلوا الخطوة ضد الله، بدلا من أن يخسروا بفعالهم وعنادهم وجحودهم واعتداءاتهم أجرى الدنيا والآخرة، بل ويستحقوا مع ذلك وعيده لهم فيهما.

## الحقيقة الرابعة

تفضيل بني إسرائيل كان استثناء

مردده التمسك بما أخذ الله عليهم من موثيق

نفيد مما سبق أن النصوص الدالة في آي الذكر الحكيم وقبلها نصوص الكتاب المقدس، على تكريم بني إسرائيل وتفضيلهم على عالمي زمانهم وتحقيق موعود الله لهم وجعلهم أو بعضنا منهم أئمة يهتدى بهم.. إنما جرى بها في معرض الاستئذان على بني إسرائيل إبان التزامهم بما كان يأمرهم به الرب سبحانه، وفي غير أوقات انحرافهم أو إقامتهم على المعصية أو إعلانهم للكفر والتأبى على أحكام الله وأوامر أنبيائه.

كما جرى بها كذلك في معرض الحديث عن تميز الطائفة الظاهرة على الحق - والتي عادة ما تكون قليلة العدد - عن الكثرة المنحرفة، وذلك للإعلام - على ما يقتضيه الإنصاف والعدل الإلهي - أنه بقدر غلبة الحق وانصار الباطل والتمسك بعهد الله وميثاقه والإذعان لأوامره وأحكامه والكف عن معاصيه، بقدر ما يكون التفضيل لمن تلبس بذلك ويكون التمكن.

ومن الآيات التي يترأى فيها جانب الاصطفاء وإسباغ النعم في ضوء ما ذكرنا، قول الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ



التي أنعمت عليك وأتى فضلكم على العالمين» (البقرة: ٤٧)، وقوله: «وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى» (البقرة: ٥٧)، وقوله: «فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» (النساء: ٥٤)، وقوله: «وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين» (المائدة: ٢٠)، وقوله: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» (السمعة: ٢٤)، وقوله: «ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين» (الحاقة: ١٦).

ومن مظاهر تكريم الله لهم على ما ذكر المفسرون: أن ناداهم باسم أبيهم الذي هو منشأ فخارهم وأصل عزهم، وأن أكثر فيهم الأنبياء وجعلهم ملوكاً بأن هيا لهم أسباب النعيم وأقربهم على امتلاك الديار والنساء والخدم يستأذنونهم للدخول عليهم، وأعطاهم من الفضل والزيادة ما لم يعط غيرهم من شعوب الأرض حتى الأمم ذات الحضارات كالمصريين وسكان الأراضي المقدسة.. ومن مظاهره: أن جاوز بهم البحر وأخرجهم من مصر بعد أن أنقذهم من بطش فرعون وأشياعه العتاة الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، وما ذلك كله إلا للنفس الأسباب التي سبق ذكرها.. كما عنهم سبحانه برحمته

عندما شكوا إلى موسى - على إثر نجاتهم من فرعون - ما أصابهم في الصحراء من حر الشمس ومن قلة الطعام والشراب، إذ أرسل الله إليهم الغمام بظللهم، وأنزل عليهم المنّ الذي يشبه العسل فكانوا يمزجونه بالماء ويشربونه، وكانت السملى تأتيهم فيأخذ كل واحد منهم ما يكفيه إلى الغد، وأوحى الله إلى نبيه موسى أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنا عشرة عينا بقدر قبائلهم.

والغريب أنه مع كل هذه النعم التي تستوجب الشكر والامتنان، فقد قابلوها بالكران واستبدلوا الذي هو أذى بالذى هو خير.. والغريب كذلك أنه على الرغم من كثرة ما اقترّفوه بحق الله، فإنه سبحانه كان يفتح لهم في كل مرة باب توبته ليعطيهم الفرصة تلو الفرصة.. الأمر الذي يؤكد أن حلم الله عليهم - إلى هذا الحد ومع كل ما يفعلونه - لم يكن دائما لرضاء عنهم أو تفضيلا لهم أو تحفيظا لموعوده لهم، وإنما كان لحكم أخرى كان يكون ذلك انتقاما من فرعون وملأه على نحو ما أخبرت عنه التوراة السامرية بالإصحاح ٩ عدد ٥ ، ٦ من سفر التثنية .

وفيما يتعلق بتحقيق رغبتهم في دخول الأرض المقدسة، فقد وعدهم سبحانه إن هم دخلوها سجداً طالبيين المغفرة، بأن يحط عنهم خطاياهم.. إلا أنهم ظلموا على ما هم عليه من بغى ولأى، ومن عدم مراعاة تعاليم الرب وأوامره، بل استهزأوا بها.. ويدل أن يدخلوا





باب بيت المقدس منحلين خاضعين دخولوه زاحفين، وبدل أن يقولوا (حطة) أي (حط عنا خطايانا)، قالوا: (حطة)، فكان أن حجب الله عنهم تمكينه منه، وكان ما أخبر الله به في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ \* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٨، ٥٩)<sup>(١)</sup>.

ومن عظيم رحمة الله بهم أن لم يأخذ جميعهم بجريرة من بدل منهم وحرف الكلام عن مواضعه، كما أنه تعالى لم يتأصل شأفتهم بعد أن امتنع منهم من امتنع عن دخول المدينة المقدسة وتقاص منهم من تقاص عن قتال الجبارين بها عندما أمرهم الله بذلك، بل وعقب قولهم لموسى بكل جرأة: ﴿إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ

(١) يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية ١/ ٩٨: «أمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل - يعني بموجب موعود الله له ولأبيه إبراهيم - وقتل من فيها من العماليق لكثرة قتلوا عن قتالهم، وضعفوا واستصعروا فرماهم الله بآتيه عقوبة لهم، وقد نص على أن المراد بالقرية: بيت المقدس، الذي والربيع بن أنس وقسادة وأبو مسلم الأصفهاني وغيرهم، وحاصل القول إنهم أمروا أن يتواضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها، ولكن هيهات لشعب صلب الرقبة ولأنس جبلوا على المعصية أن يفعلوا ذلك أو شيئاً منه.

أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» (المائدة: ٢١) - على الرغم من أن الأمر بدخولها جاء بناءً على رغبتهم - فكان الاكتفاء بعقوبة التوبة بين مصر والشام أربعين سنة وعدم إهلاكهم وذرياتهم بالكلية، رحمة بمن لم يصدر عنه هذا القول واستبقاء لتسلهم الذي شاء سبحانه أن يكونوا بعد على بنية من الأمر.

وفى للنظم الكريم من آيتي البقرة ما يؤذن ويؤس من طرف خفى إلى تمايز القلة المتمسكة بأوامر الرب ووصاياه عن أولئك الذين ظلموا أنفسهم وبدلوا ﴿قُولُوا خَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، فقد قرر أهل التأويل أنه لم يدخل الأرض المقدسة المعبر عنها في الآية الكريمة بـ (القرية) من بعد موسى سوى قلة تمثلت - مع النواشئ من ذرياتهم - في يوشع ورجلين أُنعم الله عليهما بالإيمان به تعالى والخوف منه، وأن العقاب بالرجز لم يلحق سوى أولئك الذين قللوا: ﴿إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾، فهؤلاء هم الذين حَرَّمَ الله عليهم دخولها حتى أهلكهم بالطاعون الذي غدا بمسعين ألف منهم وقيل بأربعة وعشرين ألفاً فجعلهم أثرًا بعد عين.

وهنا نبصر من خلال شواهد القرآن الأخرى المتعلقة بهذه الواقعة وكذا شواهد السنة الصحيحة، عدل الله المطلق، حيث حَرَّمَ سبحانه دخول الأرض المقدسة على الذين نكسوا على أعقابهم على الرغم من أنهم كانوا في صحبة موسى وهارون عليهما السلام.. في



حين مكن ليوشع بن نون الذي قام بالأمر بعد تسليم الله موسى عليه السلام فخرج ومعه من تبقى من بنى إسرائيل ممن تشجعوا لدخولها ولم يبقوا بها فإياه به سابقوهم، فقصدهم بيت المقدس، بل وأحدث الله له ولهم من الكرامات ما أعانهم على دخولها في الموعد الذي أراده.

الأمر الذي يؤكد على أن الله حين اختبرهم أيام موسى عليه السلام وأمرهم بقتال العمالة الجبارين ونكصوا عن ذلك، عاقبهم بحرمانهم من دخولها وحكم عليهم بالتيه أربعين سنة في صحراء سيناء لا يخرجون منها ولا يهتدون لغيرها.. ولما انتهت مدة العقوبة وقاد يوشع من وليهم للقتال وتصبروا على تنفيذ أمر الله، امتن عليهم بما لم يمتن على من كانوا منهم أيام موسى وهارون عليهما السلام، بأن نصرهم على أولئك الجبارين وظلوا بهم حتى أخرجوهم من فلسطين، بل امتن عليهم بما أخبر عن عومهم في قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مِثْلَ الْأَرْضِ وَمِغَارِهَا فَتَبَيَّنَّا أَنَّهُمْ آلُ آدَمَ وَإِنَّا لَهُمْ قَوِيٌّ مُرْدِفٌ﴾ (الأعراف: ١٣٧)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِثْوًى صَدَقَ وَرِثَتَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (يوسف: ١٢).

كما يؤكد على أن سنة الله في التفضيل ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، لكونه سبحانه لا يفضل بعد الإعذار إلا الفئة المؤمنة الصابرة،

إذ حاشاه سبحانه أن يملأى بين من امتثل لأمره ومن عدل عنه، أو أن يحاسب أحدا على حساب أحد، وإنما يتأذى ذلك ممن اختلفت عقولهم وموازين العدل عندهم من البشر.

وعليه فدعاوى السابقين من بنى إسرائيل أنهم أبناء الله وأحبائه، واللاحقين منهم بأنهم شعب الله المختار على ما هم عليه هؤلاء وأولئك من كفر ومعصية، دعاوى زائفة ولا أساس لها فى ميزان العدل الإلهي، لذا يقول سبحانه فى حقها: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبائه قل فم يعذبكم بنوكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ (البقرة: ١٨).

ومصدق ذلك فيما يدينون به ما جاء فى سفر التثنية ٧: ٦، ٩ - ١١ "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.. فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل. والمجازى الذين ييغضونه بوجوههم ليهلكهم، ولا يمهل من ييغضه، بوجهه يجازيه. فاحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التى أنا أوصيك اليوم لتعملها"<sup>(١)</sup>.

(١) ونظير ذلك، ما جاء فى نفس السفر ٨: ١٧ - ٢٠ وفى سفر الملوك الأول ٩: ٣ - ٩، وقد سبق ذكرهما وذكر ما جاء على شاكلتها إبان الحديث عن الحقيقة الأولى.



وعن مجازاته سبحانه لمن استهضهم يوشع بن نون  
بما يستحقونه من موعوده، جاء في سفر يشوع ٢١: ٤٣-٤٥  
فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لأبائهم  
فامتلكوها وسكنوا بها. فأراحهم الرب حوالهم حسب كل ما أقسم  
لأبائهم، ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم بل دفع الرب جميع  
أعدائهم بأيديهم. لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلم به  
الرب بيت إسرائيل بل الكل صار، وإنما كان لهم ما أرادوا - فيما  
يشبه النحو على آبائهم باللائمة أن خالفوا ما أمر به موسى عليه  
السلام - لأن الذين كانوا مع يشوع أجابوا يشوع قائلين، كل  
ما أمرتنا به فعلناه وحيثما ترسلنا نذهب. حسب كل ما سمعنا لموسى  
نسمع لك، إنما الرب إلهك يكون معك كما كان مع موسى. كل إنسان  
يعصى قولك ولا يسمع كلامك في كل ما تأمره به يقتل، كذا هو  
نص يشوع ١: ١٦-١٨.

وبدل ما ذكرنا وكذا ما حدث إبان نشوة دخولهم إياها مع يوشع،  
على عدم ملكيتهم لأرض فلسطين، ذلك لأن وجودهم آنذاك - بل  
ومن قبل ذلك ومن بعده، وبموجب ما جاء في الكتاب المقدس،  
وبموجب علم الله بحال تلك القلة التي خلفها غيرها ممن عصى أوامر

الله تعالى ولم يسمع كلامه ولم يحافظ على وصاياه - كان وجودنا طارئاً، كما كان تمكينهم كذلك تمكيناً عارضاً.

فكما يذكره التاريخ ويُعد من الأمور الثابتة وتشهد له توراتهم: أن يعقوب حين ارتحل بذريته إلى مصر ومات بها وعمره (١٤٧) سنة - على ما جاء في سفر التكوين ٤٧: ٢٨، ٢٣: ٣-٦، ٣٧: ١، ٤٦: ١-٧ - لم يكن يملك لا هو ولا آباءه إبراهيم وإسحاق، ولا بنوه - ٧٠ نفساً - من أرض فلسطين شبراً ولا ذراعاً.. كما أن المدة التي عاشها بنو إسرائيل بمصر من بعد أن دعاهم إليها يوسف عليه السلام وحتى أخرجهم موسى (٤٣٠) سنة - على ما تنطق به توراتهم وتحديداً في سفر الخروج ١٢: ٤٠ - لم يكونوا يملكون منها شيئاً.. ثم إنهم بعد نزوحهم من مصر وبعد أن نكلوا عن قتال العمالة مع موسى عليه السلام، وشردهم الله في التيه الذي مات فيه موسى وهارون وهما أسفاً عليهم، لم يدخلوا المدينة المقدسة وخرج من بقي منهم مع يوشع بن نون ففتح الله عليهم بدخولها بعد أن هُزم أهلها - على ما جاء في سفر يشوع من الإصحاح ٦ إلى الإصحاح ٢١ - ومات يشوع بعد أن قسم الأرض على أسباط بني إسرائيل، وقد أولوا وقتها بعهد الله فأوفى الله بعهده وحقق موعوده لهم فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لأبائهم فامتلكوها وسكنوا بها. فأراحهم الرب حواليهم حسب ما أقسم لأبائهم ولم يقف قدامهم



رجل من جميع أعدائهم بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم. لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى كلم به الرب بيت إسرائيل بل الكل صار<sup>٢١</sup> يشوع ٤٣-٤٥.

ومع كل هذا لم يتم لهم فيها ملك ولا دولة، وسر ذلك ببساطة شديدة أنهم سرعان ما عانوا لما نهوا عنه، ففعلوا للشر فى عيسى الرب وأغاظوه 'وتركوا الرب إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها. تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت، فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدى ناهيين نهيوم، وباعهم بيد أعدائهم حولهم، ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم.. وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم.. ولقضائهم أيضا لم يسمعوا..، كذا فى سفر القضاة ٢: ١٢-١٤، ١٦، ١٧.. ثم جاء بعد حكم القضاة الذى استمر ٢٠٠ سنة، حكم الملوك شاؤول (طالوت)، ودانود ومسليمان فحكموهم مع قلتهم ومع بقاء البلاد فى أيدى أصحابها من الليبوسيين والصدوقيين لمدة ١٠٠ سنة من ١٠٣٣: ٩٣٣ ق.م تقريبا، وكانت هذه هى مدة دولتهم والفترة الذهبية لهم مع غربتهم، ودل على أنهم مع ذلك كانوا غرباء نصوص كتبهم التى ذكرنا طرفا منها.

وبعد عهد سليمان الذي أتم بناء الهيكل - الذي لم يرد ذكره سوى في التوراة - انقسمت مملكته سنة ٩٣٥ ق.م بين يهوذا - السبط الرابع ليعقوب والذي إليه ترجع نسبة اليهود - في اورشليم (القدس)، وإسرائيل في شكيم (نابلس) وكانت الحرب بينهما سجالاً لم تتوقف حتى سنة ٥٨٦ ق.م إلى أن تمكن بختنصر ملك الكلدانيين في بابل سنة ٥٩٧ ق.م من القضاء على مملكة يهوذا، وأسر معظم سكانها إلى بابل بالعراق، وأحرق التوراة وأخذ التابوت إلى بلادهم - وهو صندوق كان به بقايا مما ترك آل موسى وآل هارون - ودمر مدينة القدس كلها وهيكلها، على ما جاء في سفر الملوك الثاني ٢٤: ١٣، ٢٥ وما بعدها، وإرميا ٥٢ : ٣٠. ومن قبل ذلك بقليل وتحديداً في سنة ٧٢٥ ق.م، أغار سرجون الثاني ملك آشور على المملكة الشمالية التي عاصمتها شكيم ودمرها ونقل جميع أهلها إلى شرق الفرات، وانتهى بذلك نهائياً الوجود اليهودي في فلسطين، وبعد الغزو البابلي والاشوري لم يتمكن اليهود من استعادة كياناتهم السياسية حتى سنة ١٦٧ ق.م، لأنه خلال تلك الفترة وتحديداً في سنة ٥٣٩ ق.م غزا الفرس فلسطين واحتلوها لقراءة قرنين من الزمان، وذلك بعد أن احتلوا بابل هي الأخرى وألحقوها بدولتهم.

وفي سنة ٣٣٢ ق.م -حيث بداية العصر اليوناني - غزاها (الإسكندر المقدوني) وألحقها بدولة الإغريق، ثم جاء البطالمة





والسلاجقة ٣٠١: ٦٣ ق.م فوضعوا أيديهم عليها وتناوبوا حكمها، وبقيت تابعة لعاصمتهم حتى غزاها الرومان واحتلوها وظلت تحت أيديهم مدة طويلة بحث الله إتيانها عيسى عليه السلام الذي كاد له اليهود وأوصلهم كيدهم إلى أن استعانوا سنة ٢٧م بملوك الرومان على قتله وأوحوا إليهم - بعد عودتهم من الأسر البابلي ومحاولة استغلال مركزهم الديني الذي كان ممنوحا لهم من قبل وتعاطف الحاكم الروماني (هيرونس) معهم - أنه جاء ليفد عليهم رعاياهم.. وفي سنة ٧٠م ثار اليهود على الرومان فبطل بهم لقلعة الروماني (ثيئوس) ونكل بهم وأحرق هيكلهم الذي كانوا قد أعلنوا بناءه - إن صح ما قيل في ذلك - إبان غزو الفرس لفلسطين بعد مهانة من الملك (دارا)، كما أعلنوا توسعته أثناء الغزو الروماني على يد (هيرونس) الذي اعتنق اليهودية، ودمر (ثيئوس) ومن بعده (إرياثوس) عام ١٣٥م المدينة بأكملها وأقلع مكانها مدينة جديدة على الطراز الروماني أطلق الأخير عليها اسم (إيليا) وحرّم على اليهود أن يقطنوها.

فهم ما كانوا ينفكون من الغزو البابلي الذي قضى على كيانتهم السياسية حتى أثنى الغزو الروماني الذي أباد خضراءهم ومزقهم وقضى على كيانتهم الذاتية، وبعد عيسى بثلاثمائة سنة استدار الزمان واندرت معالم الديانة اليهودية في البلاد المقدسة وغيرها ودخل

قسطنطين أحد ملوك اليونان في دين النصرانية وانتشرت بمسيه تلك  
 الملة حتى استحوذ النصارى على مملكة الشام والجزيرة وبلاد  
 الروم، وبني هذا الملك مدينة القسطنطينية وبيت لحم وعدد غير قليل  
 من الكنائس ببلاد بيت المقدس، ولم تزل أيديهم على هذه البلاد حتى  
 انتزعها منهم الصليبية في خلافة عمر سنة ٦٣٦م وأسلم جل أهلها،  
 وظل اليهود إبان الفتح الإسلامي وبعده مشردين في الأرض ومحرم  
 عليهم أن يقيموا فيها بعد أن طردهم الرومان منها، حتى أن بطريرك  
 القدس (صفرنيوس) اشترط على أمير المؤمنين عمر وهو يسلمه  
 مفاتيح القدس ألا يسمح لليهود - نظراً لماضيهم السيئ وواقعهم  
 الأسوأ - بدخول إيلياء أو الإقامة فيها<sup>(١)</sup>.

(١) وهكذا كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها وكلما عانوا إلى الفتنة والإفساد في الأرض سخط  
 الله عليهم من ينزعها عنهم، وأعاد إليهم وعيده الذي أخبر عنه في قوله: ﴿وإن عذبم عذاباً﴾  
 (الأنعام: ٨١)، وكان آخر ما نزل بهم، في حرب العاشر من رمضان سنة ١٠٩٣هـ الموافق  
 للقدس من أكتوبر سنة ١١٩٣م، فقد دكت في ليل من ست ساعات حصونهم المنيعة ودمرت  
 القلاع العسكرية وتحطمت قواهم المعنوية وأزل الله بهم على يد جنود مصر وسوريا  
 الألفياء، بأمره الشديد، وقبل ذلك حل بهم ما حل على يد أربابهم نظراً لبعدهم أن يزوج يهود  
 شرق أوروبا في أواخر عام ١١٩٠م إلى النساء ومثلوا أكثر سكان عاصمتها (قبرص)،  
 وجلبوا فيها على جل المراكز الجيدة في قطاج المصارف والحياسة المهنية والفنون  
 والصناعة.. الأمر الذي ولد لدى هنتر النمساوي المولد، والذي عجز عن الالتحاق بالبعدي  
 كليات القلوب المعملة ببلاد، اضطباعاً بالكرامية والعناء الشديدين.



الأمر الذي يعنى أن التاريخ نفسه بكل فصوله ومراحله - فضلا عن تراثهم الذي نلّى حقهم الدينى فى أرض فلسطين على ما أقتضنا - هو الذى يشهد بأن اليهود لم يكونوا أول من عاش على أرض فلسطين، وإنما وفدوا إليها فيما بعد، ثم انتهت صلتهم تمامًا بهذه الأرض منذ أن احتلها الرومان واعتلق سكانها الأصليون من العرب الكنعسانيين الديانة المسيحية ولم يغير ذلك من طابعها العربى الذى ازداد تجزؤاً بعد انتشار الإسلام فى المنطقة العربية كلها..

كما يعنى أن العرب حين استعادوا القدس إبان الفتح الإسلامى ودخلوا بلاد أجدادهم اللبوسيين، دخلوها وهى خالية من اليهود، وقد تم لهم ذلك دون إلحاق الضرر بأى شيء بها حرصاً على مركزها الدينى، وتدفقت عليها فيما بعد القبائل العربية، ومنذ ذلك التحول والانتقال ظلت فلسطين ومستظل كما كانت من قبل، بلذا عربياً شعباً ولغة وديانة مهما حاول للصهاينة ومن ورائهم من الصليبيين المخالفين لوصايا ولتعاليم الرب<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر لمزيد من التفصيل لتاريخ القدس ومناصبه (القدس عربية إسلامية) د. فرج راشد من ٥٣ - ١٥٧.

## الحقيقة الخامسة

لا محاباة هي إمضاء سنة الله القاضية بأن  
عهد الله لا ينال الظالمين ولا ينالونه

وتابعاً لهذه السنة الماضية والقاضية بتفضيل الله وإجلاله  
للطائفة المزمعة التي عادة ما تكون قليلة العدد والعدة.. واستكمالاً  
للحديث عن الكثرة التي عادة ما يفشو فيها الفساد والإفساد على ما  
أفاده قول الله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾  
(يوسف: ١٠٣)، وقوله: ﴿قلبي أكثر الناس إلا كفوراً﴾ (الفرقان: ٥٠)،  
وقوله: ﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين﴾ (السافات: ٧١)، إلخ.. نقول:  
إنه وعلى العكس مما جاء من تفضيل وتكريم بحق بني إسرائيل  
على عالمي زمانهم، وهو ما جرى لهم حين تمسكوا بالكتاب ونفذوا  
فرائض الله وعملوا بوصايا أنبيائه، وحصل لهم - كما لاحظنا -  
على فترات قصيرة ومتقطعة، وتحقق لهم في نهايته ما كانوا يحلمون  
به من دخول الأرض المقدسة.. فإن جرائمهم التي أنشأوا لها جل  
حياتهم ولا يزالون، وارتكبوا فيها بحق الله ورسله - كما وكيفاً -  
ما يفوق الوصف، جلبت عليهم مقت الله وسخطه، وحرمتهم من  
موجود الله ومن أن تظل أرض العمل واللبن خالدة لهم نالدة، وهذا  
أمر تم تقريره وهو لا يخفى على ذي لب.



ولطالما حكى القرآن عنهم، وقبله التوراة والإنجيل التي بأيديهم اعتداءاتهم على أنبياء الله المبلغين عن الله رسالاته والذين هم مصدر هداية لهم، ولو اقتصر أمر معشر بني إسرائيل على مجرد التكذيب لهان الخطب، لكنه تعدى ذلك بكثير، فقد جاء في الحديث عن أبي عبدة قوله صلى الله عليه وسلم: [ قُتِلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةً وَارْبَعِينَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَمِائَةُ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَامُوا مَنْ قَتَلْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ فَمَقَلْتُمُوهُمْ جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَهَمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ] - يعنى فى قوله: ﴿ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران: ٦١).

كما أورد ابن كثير فى تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاعُوا بَغْضَبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١)، أثر ابن مسعود الذى يقول فيه: (كانت بنو إسرائيل تقتل ثلاثمائة نبي فى أول النهار - با تساوة القلوب - ثم يقيمون سوقاً بقلهم فى آخره) وأعقبه بالقول: "إنه لما ارتكب بنو إسرائيل ما ارتكبوا من الكفر بآيات الله وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم

بأسه الذي لا يرد وكساهم ذلاً في الدنيا موصولاً بذل الآخرة جزاء وفقاً<sup>(١)</sup>.. وللمزيد من الوقوف على تحقيق هدفهم من التخلص من أنبيائهم الذي كانوا يسعون إليه بكل وسيلة، تنظر الآيتين ٨٧، ٩١ من سورة البقرة، والآيات ١١٢، ١٨١، ١٨٣ من سورة آل عمران، الآيتين ١٥٥، ١٥٧ من سورة النساء، والآية ٧٠ من سورة المائدة، وينظر معها ما قاله أهل التفسير لئيبين لك كم كانوا حريصين على سلك هذه الدماء الزكية بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

وحسبنا أن نستشهد هنا - من غير القرآن - على تلك المذاهب التي نصبوها لأنبيائهم بما ورد في بعض نصوص كتابهم المقدس، فقد جاء في سفر نحemia ٩: ٢٦ "وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا عليهم ليرُدَّهم إليك وعملوا إهانة عظيمة".. وما جاء في سفر الملوك الأول ١٩: ١٠، ١٤ "وقتلوا أنبياءك".. وما جاء في إنجيل متى ٢٣ وفيه ٣١، ٣٤-٣٦: "أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم قتلتم الأنبياء.. ها أنا أُرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم يقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكي يأتي عليكم كل دم زكي سلك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل".

(١) تفسير ابن كثير ١٠٢/١، وينظر ٣٥٥/١.



الأمر الذي يعنى أن لم يعتداتهم على الأنبياء لم يقتصر مجيئه على القرآن، بل تحدث به أيضا كتب القوم يهودا كانوا أم نصارى.. وعليه فلا عجب حين نطال مؤامراتهم الذميمة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك حين دبوا غير ما مؤامرة لقتله.

والذين لا يكونون عن استحلال قتل النساء والأطفال، ولا يكونون عن نشر الإلحاد فى العالمين، وهم الذين أوقدوا نيران الحروب التى وقعت فى أنحاء المعمورة، حتى صدق فيهم قول الله تعالى عنهم: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ (المائدة: ٦٤).. والباحث عن الحقيقة يجد أنهم - وكما نطقت الآية ومع ضلالهم وكفرهم - وراء كل فساد وإفساد.. هم وراء فساد الإلحاد وفساد الأخلاق وفساد التنصير والتكفير وفساد العصبية والأفكار الهدامة وفساد الصحافة والإعلام، ومن هنا جاءت الآية السابقة وما كان على شاكلتها تحذر من خطرهم وتنبه على أنهم لس البلاء على مدار التاريخ وفى الحاضر والماضى وفى بلاد الإسلام وغيرها.

وهذا ما يشهد به التاريخ وأثبتته الوقائع.. فـ (أبو عفاك) اليهودي، وكذا أضرايه: (كعب بن الأشرف) و (ابن أبى حقيق) وغيرهم، كانوا من أوائل من ألبوا الأحقاد وقلبوا الأمور فى الدولة

الإسلامية الناشئة في المدينة، فجمعوا يهود المدينة وكنسار قرش والقبائل الأخرى في الجزيرة على محاربة المسلمين، ولطالما قالوا عن المشركين: ﴿هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سيلاً﴾ (النساء: ٥١).

كما أن اليهودي (مدحت باشا) كان وراء إثارة الثورات القومية واستخدام المخططات الماسونية في دولة الخلافة العثمانية، الأمر الذي أدى في النهاية إلى سقوطها على يد اليهودي الأصل (مصطفى كمال أتاتورك).. واليهودي (كارل ماركس) هو الذي كان وراء موجة الإحاد التي سرعان ما أضحت قوة ودولة.. واليهودي (فرويد) كان وراء النزعة الحيوانية التي أصبحت فيما بعد منهجاً تقتل به عقول الناشئة من مسلمين وغيرهم.. واليهودي (نور كايم) كان وراء الأفكار التي نتج عنها تفكيك الأسر وتخریب البيوت.. واليهودي (جان بول سارتر) كان وراء نزعة أدب الانحلال في علاقات الأفراد والجماعات.. واليهودي (جوك تسيهر) كان وراء حركة الاستشراق التي استتري لهاها وعم ظلمها.. واليهودي (هيمونيل زويمر) هو الذي خطط لحركات التبشير والتكفير في بلاد المسلمين لا لمجرد إدخال المسلمين في النصرانية بل لإخراجهم من الإسلام وضرب الإسلام بالنصرانية والعكس.. واليهودي (نيونر هرتزل) هو الذي وضع البذرة الأولى في محنة العصر المسماة





بأزمة الشرق الأوسط لإقامة هذه الدولة التي ولدت بعد مائة مائة سنة  
فكلفت بؤرة للإفساد في الأرض.

وإذا كانت هذه هي بعض جرائمهم بعد تحول موعود الله عنهم،  
فالسؤال: ماذا يفعل الله بقوم تركوا ملة آبائهم التي أمروا ألا يعيشوا  
إلا في كنفها وألا يموتوا إلا عليها، وبدلاً من أن يقيموا التوحيد  
ويؤمنوا بمن جاء به من أنبيائهم، راحوا يستقبلون الذي هو أنسى  
بالذي هو خير، وطفقوا يلتصقون الهدى في عبادة العجل نارة وفي  
العقائد الباطلة التي برأ الله منها ساحة خليله إبراهيم وبنيه من الأنبياء  
جميعاً، نارة أخرى، راغبين بذلك عن وصاياهم وضاربين بكلامهم  
جميعاً عرض الحائط؟.

ويلاحظ في آيات سورة البقرة التي سبق ذكرها في الحقيقة  
الرابعة - تلك الآيات التي تناولت قصة دخولهم الأرض المقدسة  
وتحدثت عن تبديل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم - كيف  
لنها جاءت في إطار الحديث عن مدى عفو الله وفضله، وعن حلمه  
سبحانه وصبره الذين عادة ما كانوا يقابلون بالمزيد من الإكراه على  
المعصية والاستهانة بأوامر الله وأحكامه، فقد جاءت الآيات عقب  
الحديث عن إنجائهم من آل فرعون الذين كانوا يذبحون أبناءهم  
ويستحيون نساءهم ويسومونهم سوء العذاب، فراحوا - بدل أن

يشكروهم - يتخذون العجل - يؤذاهم من دونه، وبعد اعتذارهم المشوب بالمكر وعدم الصدق في التوبة، وبعد عفو الله عنهم، أن سببانه لختيارهم بالخروج مع موسى فراحوا بسفهمهم - وهم المختارون - يطلبون منه رؤية من لا تتركه الأبصار - سبحانه - وهو يدرك الأبصار، وبعد أن أخذتهم صاعقة الموت من جراء طلبهم ما يستحيل للعقل إدراكه، بعثهم مرة أخرى لعلمهم يشكرون، وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، ورزقهم من الطيبات، وكانوا في كل مرة كعادتهم يقابلون نعم الله بالجحود ويبدلون نعمة الله كفرًا، ثم كفهم فيما بعد - ونزولا على رغبتهم - بدخول الأرض المقدسة، فراحوا يتكلمون ويسبون الأديب مع الله.. إلى آخر ما تبع ذلك من ليهم ومكرهم الذي عادة ما كان يقابل بحلم الله عليهم وقبوله قوتهم، بل وأحياناً بتفضيله لهم على سائر الخلق كلما بدت منهم سابقة خير وباترة توبة.

٧٦

وفي المزمور ٧٨: ٤٠ وما بعده: كم عصوه في البرية وأحزنوه في القفر.. لم يشكروا يده فذاهم من العدو. حيث جعل في مصر آياته وعجائبه في بلاد صُوعن. إذ حول خلجانهم إلى دم.. أرسل

٧٧



عليهم عوضًا فأكلهم وضفادع فأفسدتهم<sup>(١)</sup>.. وهذا هم - يعنى بنى إسرائيل - آمنين فلم يجزعوا.. وطرد الأمم من قدامهم.. فجزبوا وعصوا الله العليّ، وشهادته لم يحفظوا، بل ارتدوا وغدروا مثل آبائهم، انحرفوا كفوس مخطئة. أشاظوه بمرتفعاتهم وأشاروه بتمائيلهم. سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جدًا..".

وفى سفر حزقيال ٢٠: ٥ وما بعده يقول الرب ممثلاً على بنى إسرائيل: "رفعت يدي لنسل بيت يعقوب وعرفتُهم نفسى فى أرض مصر ورفعت لهم يدي.. لأخرجهم من أرض مصر إلى الأرض التى تجسستُها لهم تقيض لبنًا وعسلًا هى فخر كل الأراضى. وقلت لهم اطحروا كل إنسان منكم أرجاس عينيه ولا تتجسسا بأصنام مصر.. فتمردوا علىّ ولم يربنوا أن يسمعوا لى.. فقلت إني أسكب رجزى عليهم لأنهم سخطوا فى وسط أرض مصر. لكن صنعت لأجل اسمى لكيلا يتجس أمام عيون الأمم الذين هم فى وسطهم.. فأخرجتهم من أرض مصر وأثبت بهم إلى البرية. وأعطيتهم

(١) الضمير إلى هنا لقرعون وملئه الذين تمردوا على موسى واتهموه بالسحر والإفساد فى الأرض وتطيروا به كلما أصيبوا بجذب أو قحط وأبوا إلا الإقامة على الفكر بالله وعدم الإيمان بكليمه موسى عليه السلام: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَلْقَا بِآيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَعْنِ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ \* فَلَمَّاسْنَا عَلَيْهِمُ الْجُرَدَ وَالْقَمَلَ وَالضَّفَادِعَ وَقَدِمْنَا إِلَيْكَ مُفْضَلَاتٍ فَمَا تَسْتَكْبِرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾. (الأعراف: ١٣٦، ١٣٧).

فرائضى وعرفتهم أحكامى التى إن عملها إنسان يحيا بها.. فتمرد على بيت إسرائيل فى البرية، لم يسلكوا فى فرائضى ورفضوا أحكامى.. فقلت إني أسكب رجزى عليهم فى البرية لإقلايتهم. لكن صنعت لأجل اسمى لكيلا يتكس أمام عيون الأمم.. ورفعت أيضا يدي لهم فى البرية بأني لا آتي بهم إلى الأرض التى أعطيتهم إياها فقيض لبنا وعسلا.. لأنهم رفضوا أحكامى ولم يسلكوا فى فرائضى بل نجسوا سبوتى لأن قلوبهم ذهب وراء أصنامهم. لكن عيني أشفت عليهم عن إهلاكهم فلم أنهم فى البرية. وقلت لأبنائهم فى البرية لا تسلكوا فى فرائض آبائكم ولا تحفظوا أحكامهم ولا تتنجسوا بأصنامهم.. فتمرد الأبناء على.. فقلت إني أسكب رجزى عليهم لأثم سخطى عليهم فى البرية. ثم كفت يدي وصنعت لأجل اسمى لكيلا يتكس أمام عيون الأمم الذين أخرجتهم أمام عيونهم. ورفعت أيضا يدي لهم فى البرية لأفرضهم فى الأمم وأزريهم فى الأراضى. لأنهم لم يهضموا أحكامى بل رفضوا فرائضى ونجسوا سبوتى وكانت عيونهم وراء أصنام آبائهم، وهكذا كان حالهم طوال تاريخهم ومع كالة ألبائهم وبشهادة جميع أسفارهم.

ویدعونا كل ما سبق ذكره إلى الانتهاء إلى أنه لا محابة فى سنة الله القاضية بأن عهد الله لا يناله الظالمين ولا يذلونه، وأنه وإزاء كفر اليهود ورغبتهم عن ملة آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب،



وتأمرهم وبغيتهم على أنبياء الله ورسله، ولقاء ظلمهم وطمعناهم  
وتحريفهم للكلم عن مواضعه، الذي يؤذن بالأصلاح بعده - على  
المدى القريب أو البعيد - لأمرهم ولا فائدة ترجى للبشرية من  
ورائهم، كان لابد حسب ما تقتضى به سنن الله الكونية في الاستبدال  
والاستخلاف، من أن تتحول إمامة وخلافة وريادة هذا العالم إلى  
آخرين يحافظون على العهد ويصونون الأمانة ويحفظون الوصايا  
وينفذون التعاليم، فيستحقون عندئذ وعد الله الذي لم يتحقق لغيرهم  
لا في الأرض المقدسة وحسب بل في إرث النبوة والأرض جميعاً،  
حيث يقول تعالى وهو صدق القائلين:

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾  
(الأعراف: ١٢٨)، ويقول: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَمَسُّدِ الْقَوْمَ غَيْرَكُمْ ثُمَّ  
لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (سجدة: ٣٨)، أي: ولكن يكونون سامعين مطيعين له  
ولأوامره<sup>(١)</sup> كما قال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا  
يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾. (الأنعام: ١٣٣). وقال: ﴿إِنْ  
يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾  
(النساء: ١٣٣).

(١) تفسير ابن كثير ٤/١٨٢.

ما يعنى أن سنة الله فى خلقه وكونه لا تتبدل ولا تتغير، بل إنها لتجرى حتى فى أمة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم ممن هم من نسل إسماعيل كما جرت فيمن هم من نسل إسرائيل، فالمسلمون من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم إذا تولوا عن نصرته ربهم وحلوا عن شريعة ربهم ولم يقفوا على أمر دينهم، فسيتلهم الله بمن يستل منهم بعض ما بأيديهم ممن لا يرقب فيهم إلا ولا ذمة، تماماً كما ابتلى الأولون وكما نطقت بذلك الأحاديث، ثم يستبدلهم إذا لم يراجعوا أنفسهم: ﴿يقوم بحبهم ويحبونه أئمة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ (البقرة: ١٩٠).

ولعل هذا ما يؤمّن إليه قوله تعالى لمن هو أب لجمهور الأمم: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾، ثم قوله تعيناً على سؤاله ﴿ومن ذريتي﴾: ﴿لا ينال عدى الظالمين﴾ (البقرة: ١٢٤)، ولما اقتضت حكمة الله فيما يخص ميراث النبوة أن يجعل نبي بنى إسماعيل خاتماً للأنبياء، فقد تعين أن يكون الابتلاء فى حرمان أئمة من هم خالف منهج الله قاصراً على ميراث الحكم والأرض والخلافة دون النبوة، إلى أن يقضى الله فيها أمراً كان مفعولاً.

وإنما خصت هذه الأمة بميراث النبوة وإن خالفت، لأنها لا ولن تعدم إلى يوم القيامة، علماء عاملين يرثون الأنبياء ويؤنون مهمتهم فى تبليغ رسالة السماء، ولأنه (لا يزال طائفة منها ظاهرة على الحق



حتى تقوم الساعة).. ولأن سنة الله قضت ضمن ما قضت أن الأمم في أعمارها كالأفراد، لها آجال تنتهي عندها.. فعلى نحو ما هو حاصل للأفراد من أن لكل أجال إذا جاء لا يؤخر عنه ولا يستقم، فكذلك الحال بالنسبة للأمم، فإن ﴿.. لكل أمة أجال﴾ أى وقت معين مضروب لاستئصالهم، ﴿فإذا جاء أجالهم﴾ أى ميقاتهم المقرر لهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، فمجئته عبارة عن القضاء.. فإذا تم وانقضى أجالهم وعصرهم لا يتقدمون عنه ولا يتأخرون، كذا أفاده ابن كثير والأكوسي<sup>(١)</sup> وغيرهما.

وفى آية الأعراف السائفة الذكر - ونحوها قوله تعالى: ﴿ لكل أمة أجال إذا جاء أجالهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (يونس: ١٩)، وقوله قبلها: ﴿ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ (يونس: ١٧) - ما يدل دلالة واضحة على أن ما قضاه الله من استبدال الصادقين بمن كذبوا، وهلاك أولئك المكذبين الجاحدين، إنما يتوقف على مجيء الرسول وتكذيب الأمة.

ويستلزم ما سبق ذكره القول بأن على معاصري كل رسول أمة تالية، أتباع نهجه والمسير على شريعته إن كان صاحب شريعة، باعتبار أن شريعته تلك ناسخة لما قبلها من شرائع الأمم المنقضى

(١) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢١٦ ، وروح المعاني ٨ / ١٦٧ مجلد ٥ ، ١١ / ١٩٢ مجلد ٧ .

أجلها.. وإذا سلمنا بذلك علمنا أن الأمة اليهودية ونحوها الأمة النصرانية مطالبتان بالتباعد خاتم الأنبياء ورسول آخر الأمم محمد صلى الله عليه وسلم ، وسلوك نهجه واتباع شريعته وذلك - بالطبع - بعد الإيمان به على نحو الإيمان بغيره من الأنبياء، إذ لا يتحقق هذا إلا بذلك.. وإنما كان الأمر كذلك لأنه وبعد مبعثه أضحي رسول آخر الأمم صلوات الله وسلامه عليه، رسولاً لمسلر الأمم، وأضحي كتابها الذي تدعى إليه وتحاسب عنه يوم القيامة كتابهم، ولا يلزم كافة الأمم بعده غير ذلك من كتب الأمم المنقضى آجالها.

ولا أدل على هذا مما ورد في مسند أحمد من أن عمر جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه جوامع من التوراة فتغير وجه النبي، فقال عمر: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، فزُي عنه صلى الله عليه وسلم وقال: [والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم]، وفي بعض الأحاديث: [لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما [إلا اتباعي]، قال رسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه - دائماً إلى يوم الدين - هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر، لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا بببيت المقدس"، كذا ذكره ابن كثير في تفسيره ١: ٣٧٨.





## الحقيقة السادسة

تقصية هاجر مكان بمثابة التمهيد لإيجاد  
البديل المستحق لموهود الله

لقد أراد الله أن لا من قصية هاجر التي ورد ذكرها ضمن  
نصوص العهد القديم والجديد، تحقيق وعد آخر لإبراهيم الخليل، ذلك أنه  
عليه السلام لما وضع زوجه هاجر وابنها منه - إسماعيل - بأمر الله  
في جزيرة العرب توطئة لرفع قواعد البيت الحرام، وإذا ما بإعمار هذا  
المكان، وإعداده للطائفتين والمكثفين والركع السجود، جاز إلى ربه ودعا  
ضمن ما دعا: ﴿ربنا وابحث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك  
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنا أنتم العزيز الحكيم﴾ (البقرة: ١٢٩).

وقد وافقت هذه الدعوة التي أجيبت بعد حين، قضاء الله الأزلي  
في بعث محمد عليه الصلاة والسلام رسولا في الأميين، بل وإلى  
سائر الأعجميين من الإنس والجن، فكانت هذه الرسالة العامة وهذا  
التحول المشرف.. ليس إجابة لدعوة إبراهيم فحسب، ولا فقط إنفاذاً  
لبشارة عيسى وإسماعيل للميثاق الذي قطعه الله عليه وعلى سائر

الأنبياء بأن ينصروه ، يؤمنوا به ويأمروا بذلك لقوامهم<sup>(١)</sup>.. بل إنقاذاً في المقام الأول للبشرية وللكون من الوهدة التي سقطت فيها، والسدى سببه لهما إفساد بني إسرائيل في الأرض.

وفي شأن ذلك من نصوص التوراة الدالة على هذا التواصل المعتمد في سلالة إسماعيل والمعهد لإيجاد البديل المستحق لوعد الله، جاء في سفر ملاخي ٤: ٥-٦: "ها أنذا أرسل إليكم إيلياء النبي قبل مجيء يوم الرب. اليوم العظيم والمخوف. فيرد قلب الآباء على الأبناء. وقلب الأبناء على الآباء لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن".

والمعنى واضح في أن المراد: أرسل إليكم قرب الساعة النبي محمد عليه السلام<sup>(٢)</sup>، فيرد بني إسماعيل من العرب لحقيقة وحى

(١) على نحر ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وإذ لقد الله ميثاق للبين لما أتتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرته قال أقرؤهم وأعلمكم على ذلكم يسرى فقرأوا القرآن قال فاشهدوا وأنا أعلم من الشاهدين﴾ (قر صر: ٨١).

(٢) ذلك أن لفظ (إيلياء) بصواب الجمل المطابق المعروف الهجائية في اللغة العبرانية، يضارع لفظ (إسمد) فكلاهما يسأرى ما مجرعه ثلاثة وخمسين حرفاً ويؤكد ما جاء في التوراة هنا، ما جاء في إيهول يوحنا الذي كان معاصراً للمسيح وذلك حين أذكر أنه النبي المنتظر، فقد جاءه ولد من علماء بني إسرائيل، يسألونه من أنت؟ فأعترف ولم ينكر، وأقر بي كنت المسيح، فسأله إذا ماداً، إيلياء أنت؟ فقال: نعم.. يوحنا ١: ١٩-٢٦، لهذه شهادة يوحنا المعمدان وهو يحيى بن زكريا التي تؤكد أن اليهود كانوا ينتظرون المسيح ونبي آخر يدعى إيلياء. وقد جاء المسيح ولم يبق إلا نبي آخر الزمان (إيلياء) الذي ينتظره الكل، "ويرد كل شيء" (متي ١٢: ١١)، والتي لا تطبق لوصفه في التوراة والإنجيل إلا على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويؤكد ما جاء فيهما قوله سبحانه في كتاب المسلمين: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكفوا من قبل يستغفرون﴾ -



الأنبياء والمرسلين، ويرد قلوب اليهود والنصارى إلى دين آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى عليهم السلام، والعجيب أن تأتي هذه البشارة في آخر ما في كتب العهد القديم، وكأنها كلمة الله ووصيته الأخيرة لبني إسرائيل بل ولغيرهم من أهل الكتاب، وصنق الله القائل حكاية عن غيروا وبدلوا وحادوا عن الحق: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ\* قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٥، ١٣٦)، والقائل في خطابه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (التول: ١٢٣)، ولأمته: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٨).

- على الذين كفروا في (البقرة: ٨٩)، وقوله: «الذين أتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» (البقرة: ١١٦)، وقوله: «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في الساعة والرحيم» (الأعراف: ١٥٧).

وفي سفر إشعياء ٤٢/ ١، ٢، ١١-١٣: "هو ذا عبيدي الذي أعضده، مختارني الذي سُرِّت به نفسي وضعت روحي عليه فيُخرج الحق للأمم. لا يصبح ولا يرفع ولا يُسمع في الشارع صوته.. لترفع البرية ومدنها صَوْتُهَا الذِّبَارُ التي سكنتها قِيدَار، لتترنم سكان سلع من رؤوس الجبال ليَهتَفُوا. ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسميحه في الجزائر. الرب كالجبَّار يفرج، كرجل حروب يَنْهَضُ غَيْرَتَهُ، يَهْتَفُ ويصرخ ويقوى على أعدائه".

وهذا واضح أيضاً في الكلام عن نبي يظهر في بلاد العرب ويكون من سلالة قِيدَار أحد أبناء إسماعيل، وهذا النبي قد اختاره الرب ليعلي مجد الإسلام ويطعن الحرب على أعدائه، ويجدد دعوة أبيه إبراهيم في الناس بالحج والدعاء على رؤوس الجبال في عرفات والمزدلفة ومنى بمكة محل مساكن قِيدَار، ومعلوم أنه لم يكن عند الإسرائيليين حج كما لم يكن عند المسيحيين حتى يقال: إن المراد بهذا النص وما جاء على شاكلته غير المسلمين من ذرية إسماعيل.. وقد سبق أن ذكرنا من نصوص العهد الجديد في هذا الصدد - على سبيل الاستشهاد - ما به تقام الحجة.. وإلا فبشارات التوراة والإنجيل بصفاته وبمقدمه عليه للصلاة والسلام أكثر من أن تحصى.

ونرمق تأييد القرآن لما أُلْمِحت إليه الكتب السابقة في مثل قوله تعالى على لسان إبراهيم حين أودع زوجته وولده إسماعيل بواد غير



ذى زرع ﴿ رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾ (البقرة: ١٢٦)، ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا ﴾ (إبراهيم: ٣٧)، ناهيك عن دعوته الصريح بأن يبعث فى ذرية من أودعه عند بيته المحرم من به - على أساس من منهج الله - يستمر صلاح الكون، وتستقيم حركة الحياة والأحياء، ويتحقق موعود الله له بورثة الأرض وإمامة من عليها.

وإذا كان القرآن قد قص لنا من دعاء إبراهيم إبان إيداعه زوجته هاجر وابنها منه عند البيت الحرام، ما يومئ إلى نقل موعود الله إلى بنى إسماعيل.. فقد جاء فى أسفار اليهود ما يفيد ذلك أيضاً ويومئ إليه، فى سفر التكوين ٢٢: ١٦ - ١٨ رغم ما لنتابه من تحريف<sup>(١)</sup>:

(١) فقد تم - على يد كتبة العهد القديم - إظهار وطمس تفاصيل ما جرى مع نبي الله إسماعيل ومن يراجع التوراة التى بين الأيدين التى كتبها (عزرا) فى منفى بابل، يجدونها قد حرفت حقائق التاريخ وأكثرت حق آل إبراهيم فى الوعد الإلهى وقصرته على بنى إسرائيل، وتجاهلت رحلة إبراهيم وإسماعيل إلى الحجاز وبناء الكعبة، صسقت لتسورة - على حد قول أ. الجندي فى موسوعته ١٠ / ٦٧٥ - صحتاً شديداً عن كل ما يشغل بعلاقة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بالجزيرة العربية ومكة وبناء الكعبة، والهدف هو إخراج أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه إبراهيم عن ربه وجعله فى الصالحين من ذريته\* على النحو الذى سجله القرآن.

أنه لما هم إبراهيم بذبح خصيصه وابنه الوحيد، سر الله من قوة إيمانه وأرسل إليه ملاكاً ناداه ثانية بقوله: "بذاتى أقسمت، يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى"، وقبلها ٢٢: ١١ - ١٣ جاء ما نصه: "فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم فقال: هاأنذا. فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك على. فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً فى الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده مُحْرِقَةً عوضاً عن ابنه".

وبدرك أى منصف أن الذبيح هنا هو إسماعيل، إذ لا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاد إبراهيم وأنه الذى ظل وحيد أبوه قرابة أربع عشرة سنة كما جاء التصريح بذلك فى سفر التكوين ١٦: ١، ٢، ٤، ١٥، ١٦ ونصه: "وأما ساراي امرأة إبراهيم فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراي لأبرام هو ذا الرب قد أسكننى عن الولادة أدخل على جاريتى لعلى أرزق منها بنين فسمع إبراهيم لقول ساراي.. فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينيها.. فولدت هاجر



لأبرام ابناً ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر، إسماعيل. كان  
أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام..

قال الله لإبراهيم ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل  
اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً، أباركها فتكون أمّاً  
وملوك شعوب منها يكونون. فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال  
في قلبه هل يولد لابن مائة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين  
سنة تكوين ١٧: ١٥-١٧.

ولا معنى لهذا - بضميمة ما سبق - إلا أن يكون الوحيد لأبيه  
وأن يظل كذلك لما يقرب من أربعة عشر عاماً، هو إسماعيل.. فكيف  
يكون إسحاق وحيد إبراهيم وبكره؟، ومن يكون المذبح إذا؟.. كما  
لا معنى له إلا أن يحكم على من ادعى من كتبة العهد القديم — أن  
الله امتحن إبراهيم.. فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق،  
واذهب إلى أرض المِزْرَيا.. فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله،  
بنى هناك إبراهيم المذبح ورَتَّب الحطب وربط إسحاق ابنه ووضع  
على المذبح فوق الحطب. ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه.  
فناداه ملاك الرب من السماء.. فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل  
به شيئاً لأني الآن علمت أنك خائفٌ الله فلم تمسك ابنك وحيدك عليّ"  
تكوين ٢٢: ١-٢، ٩-١٢.. بل وعلى من ادعى من كتبة العهد الجديد

مستاقلاً : "لَمْ يَثْرُرْ - يعني يصبح باراً ومطيعاً لأمر ربه - إبراهيم بالأعمال إذ قدّم إسحاق ابنه على المذبح" رسالة يعقوب ٢: ٢١.. بولاحد من اثنين:

إما أنه يستخف بمقول قراء العهدين القديم والجديد، وإما أنه يهرف بما لا يعرف، لأن من كان وحيد إبراهيم ساعة إقدامه على ذبح ولده وبنص للتوراة هو إسماعيل لا إسحاق<sup>(١)</sup> الذي ما ذهب إلى أرض الحجاز<sup>(٢)</sup> قط، وبالتالي يكون ما جاء في التوراة من قول الرب: "إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة وأكثر نسلك كثيراً كنجوم السماء وكالزمل الذي على شاطئ البحر ويرث نسلك باب أعدائه"، تكوين ٢٢: ١٦-١٧ هو من نصيب ولد إسماعيل بعد تحول موعود الله إليهم، بقرينة لفظة

(١) إذ كيف يسوغ أن تشر أمه قبل ولادته به ومن وراءه على ما قلده قوله تعالى: ﴿وإبراهيمه قلقة فلما اتفقت فيشرهاها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (هود: ٧١)، يعني بولده، ثم يسأله الله بلبعضه؟ وكيف يسوغ لإبراهيم أن يؤمر من قبل قرب بلعمه هاجر وإنهها إسماعيل، وأن يودعهما في الأرض الموحشة رحمة بسارة بعد أن اتفقت خيرتها ثم يؤمر بذبح ابنها ويدع ابن الحجازية بلعمه، والحق أن دعوى أن يكون التثنيح (إسحاق) لا تقوم على ساق - على حد ما تذكر ابن القيم - ومن ثم ساء له أن يرد على ما جاء في هذه الدعوى من أكثر من عشرين وجهاً.. ينظر في تفصيل ذلك زاد المعاد ١/ ١٥ وما بعدها.

(٢) ومماها في الكتاب المقدس: جبال أو بنية فاران: حيقوق ٣/ ٣، جزائر كيتيم: يرميا





"وحيثك" التي تكررت مراراً وبثليل ما يوصي إلى هذا التحول من قول الرب: "ويرث نسلك باب أعدائه"، إذ لا معنى له إلا أخذ ميراث الحكم والنبوة ممن لم يحافظوا عليهما من ولد إسرائيل ممن عادوا الله ورسله وإعطائه لأهله ممن حفظوا وصايا الرب وشرعته من ولد إسماعيل... وذلك والله عاجل بشرنا لتحرير هذه البلاد من رجسهم.

لكن معشر يهود مع اعترافهم بهذا وزعمهم الإيمان بما أنزل عليهم وتمحكهم في تسمية دولتهم باسم نبي الله يعقوب، يجادلون ويتجاهلون هذه الحقائق، ويحسدون أبناء عمومته على ما حباهم الله به من شرف، ويأبى الله إلا أن يرجع الفضل في ذلك لأهله، وهذا كتاب ربنا ينطق عليهم بالحق حيث يقول رب العزة في فصح تجاهلهم وتعاميهم عن الحق: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (نقرة: ١٤٦)، ويقول: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُونًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧).. قال الحسن البصري فيما رواه ابن كثير ١/١٨٨: "كانوا يقرءون في كتاب الله الذي آتاهم: أن الدين عند الله الإسلام وأن محمداً رسول الله، وأن إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهدوا له بذلك وأقروا على أنفسهم

الله، فكتموا شهادة الله عندهم<sup>(١)</sup>.. وارتكبوا بصنيعهم هذا، الخيانة التي تستوجب استبدال غيرهم بهم، وأقيمت عليهم وبنص كتبهم الحجة.

لقد وصل علم معشر يهود بمقتم نبي بنى إسماعيل ومعرفة أوصافه لحد أن كانوا يتوعدون الأوس والخزرج بقرب قدومه ويقولون لهم: سنتبعه ونقاتلكم به قتل عاد وإرم، ويستفتحون به ﴿على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ (البقرة: ٨٩)، ولحد أن قال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته<sup>(٢)</sup>.

وكان مما قاله الحبر اليهودي عبد الله بن سلام في قصة إسلامه وكشف خباياهم: لما سمعت الخبر بقنوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لى عمتى حين سمعت تكبري: خبيك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قائماً ما زدت.. قلت لها: أى عمه والله

(١) وفي معر ما ذكر يقول القرطبي في تفسيره ٦٢١٣/٩ نقول الله تعالى: ﴿ولقد أتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات فامتنعوا على العالمين﴾ وأتيناهم ببنت من الأمر: يعنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته بأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب وينصره أهل يثرب ﴿فلما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العزم بغيا بينهم﴾ (الجنابة: ١٦، ١٧).

(٢) سورة ابن هشام ١٤٠/٢، وينظر ١٣٦، ١٥٢، وينظر تفسير القاسمي ١٨٨/٢.



أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بعث بما بعث به، فقالت: أرى ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟، فقلت لها: نعم، فقالت: فذاك، إذا، قال: ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا<sup>(١)</sup>، كذا هو في سيرة ابن هشام ٢/ ١١٨.. ولما قيل له: "تعرف محمدًا كما تعرف ولذلك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وإلى لا لترى ما كان من أمه"<sup>(٢)</sup>.

ومما يذكر في هذا الصدد أنه جلت قدرته بكّت العرب الكافرين وأكر عليهم عدم إيمانهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته وثبوت رسالته، وكانت تلك الآية هي معرفة علماء بني إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبي من عند الله كما قال تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (الشعراء: ١٩٧)، يقول الحافظ ابن كثير ٣/ ٣٥٩: "والمراد العذول منهم الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه وأمه كما أخبر بذلك من آمن منهم كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي عن أدركه منهم ومن شاكلتهم"<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٢٤، ١٩٤.. والأمانة: لغة في الوافدة، وجمعها أمانات وأمانات.

إنها القلوب المريضة القاسية، والعقول المارقة الشاردة، والنفوس الحاسدة الحاقدة التي طالما ابتغتها عوجًا ولتمست الهدى في غير طريق الله المستقيم بغيًا وعدوًا ومكابرة وعنادًا، ففيما رواء ابن إسحاق وابن هشام في سيرته ١/ ٩٦ من حديث سلمة بن سلامة بن وقش وأخرجه أحمد وصححه ابن حبان من طريقه، قال: "كان لنا جار من اليهود بالمدينة، فخرج علينا قبل البعثة بزمان فذكر الحشر والجنة والنار، فقلنا له: وما آية ذلك؟ قال: خروج نبي يبعث من هذه البلاد وأنار إلى مكة، فقالوا: متى يقع ذلك؟ قال: فرسى يبصره إلى السماء وأنا أصغر القوم، فقال: إن يستفيذ هذا الغلام غمرًا يدركه، قال سلمة: فوالله ما ذهبت الأيام والليالي حتى بعث الله نبيه وهو حي بين أظهرنا، فأما وكفر هو بغيًا وحسدًا".

والحق أن نفوس يهود المريضة طفعت بهذه العداوة حتى قبل مبعثه ﷺ، ويظهر ذلك في قول بحيرى الراهب لعمه حين اصطحبه في بعض قوافل الشام، وذلك بعد أن تفرس في وجهه عليه السلام ورأى فيه شيئًا من علامات النبوة فأشار على عمه بقوله: "ارجع بابن أخيك إلى بلده واحترز عليه من يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما صرفت ليهنقه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده"، وإنما حدا بحيرى لأن يفعل ما فعل وينصح بما نصح به،



ما عرفه عن يهود من حقد وغرر وخوف من أن ينتقل موعود الله ويتحول عنهم إليه وإلى أمته.

ويبقى بعد كل هذا وعلى الرغم منه، عتاب الله لهم ودعوته إليهم على لسان ذلك الذي يجحدون فضله، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْلَجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَبْيِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤، ٦٥، ٧١) وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ الْمَسِيلِ﴾ (المائدة: ٦٨، ٧٧).

## الحقيقة السابعة

### الإيدان بتحول الإمامة كان هي ليلة التنويع (ليلة الإسراء)

وعلى نحو ما كانت إمامة النبي ليلة الإسراء بإخوانه من الأنبياء عن طوعية وطيب نفس، تأكيداً على وحدة الدين وإشارة واضحة إلى أن النبوات تُستقْبى بعضها بعضاً وبمسند السابق منها للحق، ودليلاً على أن المسلمين هم أولى الناس بميراث الأنبياء والمرسلين كما قال ﷺ: [نحن أولى بعيسى منكم]، وإقراراً مبيناً بأن الإسلام كلمة الله الأولى والأخيرة إلى خلقه، أخذت كما هي على يد رسولنا ﷺ بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين<sup>(١)</sup>.. فقد كانت كذلك تنويجاً مشرفاً لهذا النبي الخاتم وأمنته وإنفاذاً مرتقياً لسنن الله الكونية والشرعية في الاستبدال والاستخلاف، وفي تحول الإمامة والقيادة والخلافة من بني إسرائيل الذين رغبوا عن ملة إبراهيم فسفّهت بذلك نفوسهم، إلى إخوانهم وبني أعصامهم من بني إسماعيل الذين رغبوا فيها.

ولأن الله خلق الخلق لعبادته وقد تخلقى بنو إسرائيل - أعنى لحفادهم ممن هم من صلبه - عن تأدية هذه المهمة، وفعلوا ما

(١) ينظر فقه السيرة لمحمد الغزالي ص ١٤٠، ١٤١.



استوجب استبدال غيرهم بهم، فإن الحكمة تقتضى وفق سنة الله التى لا تتبدل ولا تتغير، أن يستعاض عنهم بآخرين، ولا بد أن يكونوا هنا من أبناء العم لكونهم ممن قال إبراهيم: **(ومن ذريتي؟)**، وأن يسأتى من صلب إسماعيل الذى هو من نسل إبراهيم أيضاً، من يحدد هذه الملة ويرسخ معالمها ويقيم عوجها ويرسى دعائمها ويرفع بنياتها ويعيد أمجادها ويعلى من قدرها، وهذا ما حدث بالفعل ليلة الإسراء التى انتقل فيها إرث الملك والنبوة إلى محمد ﷺ والمؤمنين به من أمته بعد فترة تمهيد استمرت ما يزيد عن العشر سنوات من يوم مولده ﷺ، وما يزيد عن الستمائة عام من بعد رفع عيسى آخر أنبيائهم إلى السماء وإتجاه الله له من محاولة البطش به.

الأمر الذى يعنى ضمناً أن هذه الأمة هى وحدها المؤهلة لوراثة أرض النبوات أرض الميعاد - بيت المقدس ومئات الأراضى الفلسطينية - وليس هذا فى شريعة المسلمين فحسب بل وفى كتب اليهود والنصارى أيضاً، فقد ورد فى سفر حجي ٢: ٦-٩ قال رب الجنود: هى مرة بعد قليل فالزلازل السماوات والأرض والبحر واليابسة. وزلازل كل الأمم ويأتى مشتهى كل الأمم فأملاً هذا البيت مجداً.. مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، قال رب الجنود، وفى هذا المكان أعطى السلام انتهى النص، ومشتهى كل

الأمم المذكور فيه، أصله العبراني (حمدون) أى محمود الأمم، وهذا بصريح نبوة حجي يطبق على سيدنا محمد ﷺ لكون اسم (محمود) هو من ضمن أسمائه، ويتضح من النبوة أن المراك من البيت بيت المقدس.

وحين أسرى إلى هذا البيت برسولنا ﷺ فى حياته، زاد ذلك من شرفه ورفع من مكانته، ومن ثم توجهت إليه أنظاره وأنظار الموحدين الذاكرين المسجدين لله من أمته فكان أولى قبلى المسلمين، وهذا ما يوافق عبارة "أول هذا البيت مجدا"، أما بعد وفاته ﷺ فقد قام المسلمون بفتح<sup>(١)</sup> وفى هذا المكان أعطى رب الجنود السلام الذى أتى به رسول الرحمة والسلام، ونشره الخليفة عمر بن الخطاب فى ربوع هذه البلاد المقدسة، فقد أعطى رضوان الله عليه الأمان لبيت المقدس ولبطريك المدينة بل وأسائر أهلها بعقد المعاهدة وتوثيق شروط الصلح.. والملفت فى قوله: "فى هذا المكان أعطى السلام"، إنه لم يقل (وأعطى مشتهى الأمم للسلام)، أو نحو ذلك من عبارات تقليد أنه عليه السلام بنفسه الذى يتولى تسليم بيت المقدس ونشر الإسلام فيه، لعلم الله أن الذى سيتولى هذه المهمة هو واحد من أخلص خلصاته، وقد كان ذلك - بالفعل - لأمير المؤمنين عمر

(١) وذلك بعد أن مهد عليه السلام لهذا الأمر بغزو الروم.





بمحضر ومشهد من أصحاب مشتهى الأمم صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا<sup>(١)</sup>.

وتحكي كتب التاريخ أنه لما نزل الله الروم، وتكامل للمسلمين فتوح الشام واستقر أمرهم على فتح بيت المقدس، وحاصر المسلمون أهله قرابة أربعة أشهر في أشد قتال، نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار ورأوا ما حل بهم ووقفوا بين يدي البطريرك وقالوا: قد عظم الأمر ونريد منك أن تشرف على القوم وتساءل: ما الذي يريدون؟ فإن كان أمرًا صعبًا فتحنا الأبواب وخرجنا إليهم، فإما أن نقتل عن آخرنا، أو نهزمهم عنا، فأجابهم البطريرك إلى ذلك، وصعد في السور واجتمع للقسيسون والرهبان حوله ونادى رجل: يا معشر الفرسان، عمدة دين النصرانية قد أكبل يخاطبكم فليدن منا أميركم، فقام أبو عبيدة يمشي ومعه جماعة من أصحاب رسول الله، فلما وقف بإزائهم قال: ما الذي تريدون؟ قال البطريرك: إنكم لو أقسمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا إلى فتح بلندا، وإنما يفتحها رجل ليس معكم، فقال أبو عبيدة: وما صفة من يفتح بلدكم؟ قال: لا نخبركم بصفته، ولكن قرأنا أن هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد يعرف بالفاروق، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولنا نرى صفته فيكم.

(١) ينظر (محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن) للطهطاوي ص: ٢٦.

فلما سمع أبو عبيدة كلام البطريقك تبسم وقال: فتحنا البلد ورب الكعبة، ثم أقبل على البطريقك وقال: إن رأيت الرجل تعرفه، قال: نعم، وكيف لا أعرفه؟ قال أبو عبيدة: هو والله خليفتنا وصاحب نبينا، قال البطريقك: فإذا كان الأمر على ما ذكرت فالحق النماء وابعث إلى صاحبك، فإذا رأيناه وثبتنا نعتة فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية، فلما بعث أبو عبيدة في طلبه وأقدم عليهم عمر بمرفقته ونظر إليه البطريقك زعق وقال: هذا والله الذي صفته في كتبنا وخرج ومن معه يسألونه العهد.

وكان مما فاه به البطريقك من قبل عندما أخبر بجيش المسلمين يقوده أبو عبيدة: ما هذه الضجة التي أسمع؟ قالوا: قد قدم أمير المسلمين ببقية المسلمين، فلما سمع ذلك تربد وجهه وقال: إنا وجدنا في علمنا الذي ورثناه أن من يفتح الأرض هو الرجل الأحمر، صاحب نبينهم (محمد) فإن كان قدم عليكم فلا سبيل إلى قتاله، ولا بد أن أشرف عليه وانظر إلى صفته، فإن كان هو أجبته إلى ما يريد وإن كان غيره فلا بأس عليكم.. فلما رأى أبا عبيدة نظر إليه ملياً ثم قال: ليس هو الرجل فأبشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم، ثم كان ما حكيناه مما مر ذكره.

وكان من المفترض بعد ما أوضحته كل هذه النصوص الواردة على مدار هذا البحث في الإنجيل خاصة، وإزاء هذا التحول وتلك



المواقف وهذا التعاون ممن هم من السابقين أنرى وأعلم بنصوص الإنجيل.. أن يواصل أتباع المسيح عليه السلام فى هذه الأونة بالذات، دعمهم لأتباع ولجند النبى محمد ﷺ، وأن يقدموا العون الكافى على هذا النحو السالف الذكر كيما يحققوا ما جاء على لسان كلمة الله التى ألقاها إلى مريم وروح منه، بدلاً من أن يخونوا الأمانة وينقضوا العهد ويخالفوا تعاليم الرب.

ففيما يخالف هذه الروح من التعاون من أهل الإنجيل وما كان عليه أسلافهم، وفى سؤال طرحه د. أحمد شلبى فى موسوعة الحضارة الإسلامية ١٢- ٩٠ عما استطاعت المجتمعات القريبة أن ترسخه فى مجتمعات الشرق من قيم أخلاقية جديدة من أمانة وحسن معاملة.. إلى غير ذلك؟، كان جوابه: "ولئن الأمانة وحسن المعاملة عندما سلم الإنجليز فلسطين لليهود بعد أن عينوا (هربرت صموئيل) الصهيونى، مندوباً سامياً بفلسطين، فخان بإيعاز من الغرب أمانة الانتداب واتحاز لليهود فى كل الشئون، فكأن منهم جيشاً وعمل على أن يمتلك اليهود الأرض، واتخذ الوسائل الظالمة لبيع الكثيرون من الفلسطينيين لأرضهم لليهود؟".

ومهما يكن من أمر، فليس ثمة ما يبدل على هذا التحول والانتقال عندنا معاصر المسلمين، أعظم من إمامته صلوات الله

وسلامه عليه لجميع الأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى، وذلك عندما حان وقت صلاة الفجر من صبيحة ليلة القنوج المباركة، وفي هذا يروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان قوله ﷺ: [ لقد رأيتني في الحِجْر وقريش تسألني عن معمر بن أبي أمية عن أنبياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربتُ كربة ما كربتُ مثله قط، قال: فرفعه الله إلى أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أثبتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كئنه من رجال شنوءة <sup>(١)</sup> وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأمامتهم.. الحديث] <sup>(٢)</sup>..

وفي كيفية ذلك وهيئته، أخرج الطبري عن أنس من طريق قتادة بلفظ: (ثم أتيت بداية يقال لها البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه منتهى طرفه، فحملت عليه ثم انطلقنا - يعني هو وجبريل

(١) الضرب من الرجال: الوسط في كثرة اللحم وقتته، والجعد: المسترسل الشعر، وشنوءة: قبيلة عربية.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المصباح ١٩٢/٢ من المجلد الأول حديث رقم ٢٧٨.



- حتى أتينا إلى بيت المقدس فصلبت فيه بالثبطين والمرسلين إماما ثم عرج بي إلى السماء)..

وفي رواية ثانية لوردها عنه من طريق شريك بن أبي نمر (ثم ركب البراق فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس فصلى فيه بالثبطين والمرسلين إماما ثم عرج به)..

إنها الإشارة الواضحة إلى تحول المعيار وإسلام القيادة وتسلم لواءها من قبل أصحاب الرسالات جميعا بلا استثناء، لإمامهم وإمام البشرية جمعاء النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه، كما أنها الإشارة الواضحة إلى استحقاقه وأتمته دون غيرهم إرث بيت المقدس، لتعلم أهل الأرض جميعا أن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، وأن كتابه مهيم على جميع الكتب، وأن إمامته إمامة لجميع أمم النبيين، وأن رسالته هي الرسالة العامة لسائر الخلق أجمعين، ويشير ابن كثير ٢/٣ إلى هذا المعنى فيذكر أن الأنبياء 'جُمِعُوا لَهُ هُنَاكَ كُلُّهُمْ فَأَمَّهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فِي مَحَلَّتِهِمْ وَدَارِهِمْ فَدُلَّ عَلَى أَنَّهُ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ وَالرَّئِيسُ الْمَقْدَمُ.

ولعل فيما سبق ما تؤيده عبارة ابن القيم التي ذكر فيها ما نصه: 'وقد قال الله في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب: (إِنَّهُ يَضَعُ أَسْطِطَاتِهِ فِي وَسْطِ بِلَادِ أَخَوْتِهِ)، وهم بنو إسرائيل، وهذه بشارة بنو

ابنه محمد الذي طلب فسطاطه ومالك أمته في وسط بلاد بني إسرائيل وهي الشام التي هي مظهر ملكه<sup>(١)</sup>.

ومن للتصويع الصريحة الدالة على تحول الإمامة وإرث الملك والنبوة إلى محمد ﷺ وأمته، ما جاء في إنجيل يوحنا: ١٩ - ٢١ من أن امرأة من أولاد يعقوب قالت للمسيح عليه السلام: "يا سيد أرى أنك نبي. آبلنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه. قل لها يسوع: يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب، فـ "هذا من المسيح عليه السلام إشارة إلى تغيير بيت المقدس بالكعبة الحرام، فإنها ناسخة لما تقدمها من جهات الصلاة، وصار السجود لله تعالى فيها لا في أورشليم ولا في غيره" كذا ذكره القرافي في الأجابة للفاخرة ص ٢٠٥..

والذي تجدر الإشارة إليه، أن دين النبي محمد ﷺ قد انتشر في مشارق الأرض ومغاربها، وظهرت أمته على اليهود والنصارى في أفضل الأرض وأجلها عندهم كالأرض الشام ومصر والجزيرة العربية وغيرها، وحفظه الله على مر الدهور والأزمان من التغيير والتبديل، ومن كذب به استحق من الله اللعنة والغضب كما صرح بذلك الآيات.. وأنه ما إن تحمل هذا الشعب العظيم وذلك النسل المبارك

(١) هداية الحبارى ص ١٨١.



من صلب إبراهيم عليه السلام، أمانة الدين وعصبه المسئولية إلا  
وانساح في كل مكان من أرض الله، بذلك معاقلة الشرك وبقوض  
برمالة التوحيد أركان الوثنية التي فشل أتباع الرسالات قبلها في  
القضاء عليها، وانطلق هذا الجيل للفرد لا يبالي ولا يتوانى عن تنفيذ  
ما نُدب إليه حتى تم على يديه إطفاء نار فارس وإجلاء الرومان عن  
المنطقة بأسرها، وحقق وعد الله في أقل من عشر سنين وأقام  
شريعته في المنطقة وما وليها في أقل من قرن من الزمان.

## الحقيقة الثامنة

### التواصل الإيماني هو الأصل والأساس

إن الأصل في عمارة للكون الذي لا يعبأ بنو إسرائيل به كثيراً - لا سلفاً ولا خلفاً - هو التواصل الإيماني، وما التواصل السلسلي إلا تبعاً لهذا الأصل وفرعاً عن ذلك الأساس، وما كان تبرا إبراهيم من قومه بل ومن أبيه آزر عندما تبين له أنه عدو لله، إلا دليلاً على تأكيد وترسيخ هذا الأصل وإعماله - فيما بعد - في بنيه وعقبه.. وهو ما كان.

فما أعلنه إبراهيم حين اصطفاه ربه - من قوله: ﴿أسلمت لرب العالمين﴾ - جعلها كلمة باقية في عقبه، وفي هذا يقول جل شلته: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإياه في الآخرة لمن الصالحين﴾ \* إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين \* ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفي لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (البقرة: ١٣٠، ١٣٣)، يقول الحافظ ابن كثير في مرجع الضمير في (بها): «وصى بهذه الملة وهي الإسلام لله، أو يعود الضمير على الكلمة، وهي قوله: ﴿أسلمت لرب العالمين﴾ لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة ووصوا أبناءهم بها من بعدهم، كقوله تعالى: ﴿وإذ





قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين. وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) (الزخرف: ٢٦: ٢٨)،<sup>(١)</sup> يعنى إليها<sup>(٢)</sup>.. ويلاحظ فى آيات سورة الزخرف احتمال أن تكون الكلمة: «إننى براء مما تعبدون»، وهى لا تخرج فى مضمونها عما سبق، فهى على أية حال: (عبادة الله وحده لا شريك له).. كما يلاحظ فى آية البقرة كيف أن يعقوب المسمى — (إسرائيل) ما رغب منقال ذرة عن ملة أبيه، وما اختلفت وصيته لابنيه قيد أئمة عن وصية جده إبراهيم، وعليه فما على بنيه — والحال كذلك — إلا تحمل تبعة مخالفتها.

وهذه المقدمة تجعلنا نؤكد أن لا صحة لما فهمه كتبة العهد القديم من نصوص تشير إلى أن وعد إبراهيم بأرض فلسطين، إنما كان قاصراً على أولاده وأحفاده من نسل إسحاق، هكذا دون قيد بزمان أو التزام بوصية أو شرط بإنفاذ عهد، كما تجعلنا نؤكد أن لا حجة فيما استدلوا به من نحو ما جاء فى سفر الخروج ٦: ٢-٤:..  
ثم كلم الله موسى وقال أنا الرب. وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شيء... وأيضاً أئمت معهم عهدى أن أعطهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا فيها.

(١) ابن كثير ١: ٨٥ وينظر ٤: ١٢٦.

ونظيره ما جاء في سفر التكوين ٣٥: ٥.. لأن هذا - على ما سبق أن ذكرنا بالتدليل - ليس لهم الآن، وإنما كان لهم فيما مضى مشروطاً بشرط حفاظهم على الفرائض والأحكام والعواثيق، وإبان المدة المقررة والمقترة لهم أولاً.

ومما يدل على أن ذلك كائن لنسل إسماعيل الأطهار، كما هو كائن لنسل إسرائيل قبل مبعث نبي المسلمين محمد عليه الصلاة والسلام، ففي سفر التكوين ١٧: ٢٠ لما قال الله لإبراهيم: وإسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنذا أباركه وأكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيساً<sup>(١)</sup> بلد وأجعله أمة كبيرة، كان مراده من هذا التبشير، بمحمد ﷺ. فإنه الذي عظمه الله جداً جداً باتفاق الأمم، إذ لم يظهر من قبل إسماعيل عليه السلام إلا النبي محمد صلوات الله عليه، وهو الذي صيره الله إلى أمة كثيرة حتى أربت في كثرتها على نسل إسحاق، ولا ينكر ذلك إلا جاحد مكابر، ولا سيما مع قول الله في سفر إشعياء ٥٤: ١، ٣، ٦-٨ ونحوه في رسالة بولس لأهل

(١) هم - كما سيأتى بمقرب الآتي عشر - أبناء القبائل العربية وقد كان واحد منهم أمة من الناس، وكان أشهرهم قيدر الذي من نسله انحدرت قريش التي منها النبي ﷺ. ولدى تفصيل وشرح ما جاء في خبره، وفي هذه الإشارة وكذا ما جاء على شاكلتها يُنظر: (إظهار الحق) ١: ١١٣٦-٤، ١١٣٨، ١١٥٥-١١٦٤ و(محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن)، ص ٣، ١١، ١٦ وما ولي هذه الصفحات.



غلاطية ٤- ٢٧: "لأن بني المستوحشة <sup>(١)</sup> أكثر من بني ذات البعل.. ويرث نسلك أمّا ويعمر منذاً خربة.. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب.. لحبضة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك.. بفيضان الغضب حجبته وجهي عنك لحظة، وبإحسان أبدي أرحمك، قال: وليك الرب".

وحين قالت سارة لإبراهيم: "اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق"، قال الله لإبراهيم: "إسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك" سفر التكوين ٢١: ١٠، ١٢.

فهذه النصوص وما جاء على شاكلتها، تعنى ألا تعارض بين ما أقادته نصوص كتبهم، من جعل الوعد في أولاد إسرائيل من نسل إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وجعله - بعد أن تكتفى مدة البركة المملوكة من الله لبني إسحاق - في أتباع محمد ﷺ الذي هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ولا سيما أن ليس في العهد القديم ولا الجديد ما ينفي هذا الانتقال، ولا ما يفيد أن هذا الوعد سيظل إلى

(١) يعنى أبناء السيدة هاجر وهم أولاد إسماعيل، إذ أسكنت في الصحراء بجبل العرب وكان أولادها - على ما تكلم به آيات التوراة - كثيرين وورثوا الأمم السابقة، والمستوحش هو العهد عن أهله، وهاجر - كما هو معلوم - كانت بعيدة عن أهلها في مصر ويعبد كذلك عن زوجها إبراهيم الذي كان يقرن في بلاد الشام.

الأبد حكرًا على بني إسرائيل، بل إن العكس - على ما رأينا في النصوص السابقة - هو الصحيح، وما جاء من نصوص العهدين ما يفيد خلاف ذلك، فهو مما حُرف، ويَرُدُّ عليه ما ذكرنا.

يؤيد ما أورناه هنا من نصوص العهدين ويؤكد، أنه لم يأت من نسل إسماعيل بن إبراهيم نبي، وإن يأتى سوى محمد عليه وعليهما الصلاة والسلام، كما يؤيده ويؤكد أن كلمة (الأبد) ما جاءت في التوراة والإنجيل إلا في حق هذه الأمة المنسوبة إليه، ومما ورد من ذلك ما جاء في سفر إشعياء ٢٦: ٤-٤ "فتفتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة. ذو الرأى الممكن.. ثكلوا على الرب إلى الأبد"، وقد ثبت عدم وجود هذه الصفات في أمة يعقوب عليه السلام.

ومما يدل على المثلية في منح الوعد من الله لأبناء إسماعيل، وأن ذلك كائن على أساس من الإيمان وتوحيد الله على غرار ما كان منه مع أبناء إسرائيل، أن إسرائيل حين وصى بنيه بعبادة الله وحده، لم يطمئنه إلا بإعلامهم إياه أنهم سيستمرون على العهد في عبادة إلهه وإله آبائه من الأنبياء، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قلوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل



وإسحاق إليها ولحذا ونحن له مسلمون» (قبره: ١٢٢: ١٢٣)، فهاتان الآيتان تقرران حقيقة أن يعقوب (إسرائيل)، وعسى بنيه بما وصى به إبراهيم، وصاهم بأن يعبدوا إلهاً واحداً هو إله إبراهيم (جده) وإله إسحاق (أبيه) وإله إسماعيل (عمه).

فهى إذن دعوة مشتركة وملة واحدة تعاهد عليهما الأنبياء، وجمعت بين جميع آباؤهم من الأنبياء من ذرية إبراهيم وعلى رأسهم إسرائيل بن إسحاق وإسماعيل الذى هو كإسحاق تماماً لكونهما من ظهر إبراهيم وصلبه، وهو فى معنى ما جاء فى قول الرب لإبراهيم عقب ولادة هاجر لإسماعيل تكوين ١٧: ٥، ٧: "أجعلك نبياً لجمهور الأمم.. ولهم عهدى ببنى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم، بهذا أهدنياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك".

وإذا كان الأمر كذلك، فلا غرو ولا عجب عند إخلال بنى إسرائيل بوصية أبيهم يعقوب وخدم إبراهيم - المخاطب بجعل الأمر فى نسله دون تحديد ولا تمييز - أن ينتقل الأمر إلى إخوتهم وبنى صومتهم من نسل إسماعيل ليتم التواصل الإنمائى فى هذه الشجرة المباركة، وإلا غد عدم انتقاله وتحولته عن بنينهم مع إصرارهم على مغالطة الرب ومواصلة فعل المعصية والاعتداء على الذين يأمرون بالقسط من الناس، محلبة ينتزه عنها الرب الذى

أمر الجميع دون ما مفاضلة، ألا يعبدوا سواه ويأن يمتثلوا لأوامره وينتهوا عن مناهيه.

فكل هذه النصوص، تشير إلى أن الموعود به الذي هو مثله في الجلالة والرسالة العظيمة والذي جعل الله أمره مستأنفاً هو النبي محمد ﷺ، وليس - على حد ما ذكر القرطبي في كتابه (الأجوبة المفخرة) ص ٢٠٠ - هارون عليه السلام لقول التوراة: إنه مات قبل موسى عليه السلام.. ولا يوشع بن نون عليه السلام، لأنه أقسم نبياً قبل هذا الخطاب، ولأنهما صلوات الله عليهما من بنى إسرائيل، وموسى قال: (من إخوتهم) ولم يقل من أنفسهم، فتعين أن يكون من ولد إسماعيل لأخي إسحاق، فإنهما أخوان ولولاد أحدهما أخوة الآخرين، ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد ﷺ فيكون هو الموعود به، ولما عيسى عليه السلام فعند النصارى رب، وعند اليهود كأحد الناس وليس الموعود به إجماعاً أهد .

وفيما سبق من قول موسى - عليه السلام - مما ورد ذكره في سفر التثنية ١٨: ١٨: أنهم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، مع ما أوضحناه في الحقيقة الثالثة بشأن الأبدية الحاصلة في رسالة محمد ﷺ والمبشر بها هو ولنته، ما يكشف زيف ما تزعم من يهود من أن تلك الأبدية إنما هي أمر خاص بهم ويمثل لبيهم إسرائيل على ما تفهمه عبارة سفر التكوين ١٧: ١٩ وفيها:



١١ مل ١: ١-١٠ - والخطاب هنا بداهة لإبراهيم عليه السلام - ابناً وتدعو اسمه إسحاق، ولتقيم عهدي لأبدياً لنفسه من بعده، إذ لا يتأتى بحال من الأحوال أن يكون الأمر كذلك مع وعد الله لموسى أن يقيم لهم نبياً من وسط أخوة يعقوب، كما لا يصح أبداً ولا يعقل في لغة أمة من الأمم أن يقال إن بنى إسرائيل إخوة لبني إسرائيل وبنى تميم أخوة لبني تميم.. بخلاف قولك: (بنو إسماعيل إخوة لبني إسرائيل) و(زيد أخو بني تميم)، و(هود أخو عاد) و(صالح أخو ثمود) أى واحد منهم، فهو أخوهم في النسب والأصل بمعنى من ناحية الجد، ولو قيل: (عاد أخو عاد)، و(ثمود أخو ثمود)، و(مدين أخو مدين)، لكان نقصاً وخطأ صريحاً.

وفي بيان ذلك يشير ابن القيم رحمه الله إلى أن: "أخوة بنى إسرائيل إما العرب وإما الروم، فإن العرب بنو إسماعيل والروم بنو العيص، وهؤلاء إخوة بنى إسرائيل، فأما الروم فلم يقم منهم نبى سوى أيوب وكان قيل موسى، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة، فلم يبق إلا العرب وهم بنو إسماعيل وهم أخوة إسرائيل<sup>(١)</sup>.. وما بعد عمدة وأساسنا في حسم هذا الأمر فيما نطقت به كتبهم، ما جاء في سفر التكوين ٢٥: ١٨ من أن إسماعيل ونزبته سكنوا من

(١) نهاية الحجازى ص ١٨٠، ١٨١.

حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجئ نحو آشور، أمام جميع إخوته نزل،<sup>(١)</sup> حيث جاء التعبير بالأخوة صريحاً في حق بنى إسماعيل.

وقد تنبه لهذا الزيف الذي يروج له اليهود، عالمان فرنسيان هما (جك لرومال) و(ماري لوروا) إذ يقولان - تعليقاً على نص التوراة الذي يقول : "إن الرب أوحى إلى إبراهيم بالذهاب إلى فلسطين فأتى فملك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير: نهر الفرات" - : "إن هذه الآية<sup>(٢)</sup> إن صحت فإن هذا الوعد، ينصب على ابن إبراهيم: (إسماعيل أبي العرب)<sup>(٣)</sup>."

ولا غرو أن يكون معناه صلوات الله وسلامه عليه في الإنجيل والكتب السالفة (أحمد)، لأنه كان كذلك قبل أن يكون (محمداً) كما وقع في الوجود... وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك في الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس<sup>(٤)</sup>، وتفسيره أنه ﷺ أحمد الناس لربه، فهو من ثم أحق الناس وأولاهم بأن يحمد لما له من كثير الخصال التي يستحق أن يحمد عليها في الدنيا والآخرة فصار من

(١) وهي في التوراة السامرية سفر التكوين ١٥ : ١٨، وكذا ما جاء على شاكلتها كالتثنية

١ : ٧ في النسخة العبرانية، والتثنية ١١ : ٢٥ بهما.

(٢) ينظر : موسوعة بناء ملهج إسلامي متكامل أ: نور الجلدي ٥ : ٢٢٨.

(٣) كذا ذكره ابن حجر في الفتح ٦ : ٦٤١ عن القاضي عياض.





أجل هذا محمدًا.. فالأسمان واقعان على المفعول ويفيدان المبالغة بيد أنها في محمد للكثرة والكمية، وفي أحمد في الصفة والكيفية وكل في موضعه أبلغ في منحه عليه السلام وأكمل في المعنى.

يضاف لما سبق من إيماءات نصوص التوراة، أن دلالة نص إشعياء ٩: ٧-٩ "لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابنًا، وتكون الرئاسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إليها قديرًا أبًا أبدًا رئيس السلام. لنمو رئاسته وللسلام، لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا". أقول: إن دلالة هذا النص على محمد بن عبد الله ﷺ، أظهر ولزم من دلالة على غيره، فإنه الذي رئاسته على عاتقه وبين منكبيه من جهتين:

من جهة أن خاتم النبوة على نفض كتفيه وهو من أعلام النبوة التي أخبرت به الأنبياء وشهدوا لتليف من كبار الأحرار والزهاد من معاصروه.

ومن جهة أنه بعث بالسيف الذي يتقصد به على عاتقه بين يدي الساعة، وهذا يشير إليه قوله: "أبا أبدًا رئيس السلام. لنمو رئاسته"،

يعنى لكونه المؤيد المصور، رئيس السلامة<sup>(١)</sup>، فإن دينه الإسلام ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة ومن استيلاء عدوه عليه، ثم إنه - على ما تقرر - الذى سلطاته هو السلطان الكامل الذى ليس له فناء إلى آخر الدهور<sup>(٢)</sup>.

ولا يذبح فى ذلك كون إسماعيل أبنا لهاجر المقصاة<sup>(٣)</sup>، لأن الكل فى النهاية لولاد لإبراهيم الذى هو أب لجميعهم بنص كتبهم، فى خطابه لإبراهيم فى سفر التكوين ١٧: ٥ يقول الرب: "أجعلك أباً لجمهور من الأمم".

كما لا مجال للتعجب الذى ورد فى عديد من نصوص كتبهم كالمزمور ١١٨: ٢٢، ٢٣ وإنجيل متى ومرقس ولوقا وأعمال الرسل

(١) ولا يشك أحد فى أنه ﷺ بشرعائه قد رسخ مفهوم السلام فى نفوس المسلمين منذ أربعة عشر قرناً، بل إن دينه نفسه (الإسلام)، مشتق من نفس الاسم الذى اشتق منه السلام، وتحية المسلمين التى جاء بها وأمرهم بإشتائها هى السلام، وقد علم نبي السلام أتباعه أن يختصوا صلواتهم بالسلام، كما يشعرون فى جنات الحياة ويدعون إليه كل من عن أيمانهم وعن شمالكهم وفى كل مكان شرقاً وغرباً.

(٢) ينظر : نهاية الحبارى لابن القيم من ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) ولا لما يزعمونه من أن إسماعيل ابن الجارية وإسحاق ابن الحرة، لأن إسرائيل كما ذكرت التوراة بعد أن تزوج ابنتى خاله (راحيل) و(لاآ) تزوج جارتيهما (لئة) و(زلفة) وقد ولدت الجاريتان أربعة من بنى إسرائيل وعليه فلا فرق، وبخاصة مع ما جاء فى سفر الملوك الأول ١١: ٣ نبأ زواج سليمان بسبعامنة من التمساء العميدات وبثلاثمائة من السراري.



بالإصحاحات ٢١ - ١٢ - ٢٠ - ٤ على الترتيب، من أن الحجر الذى رفضه البنّامون قد صار رأساً للزاوية من قبل الرب..<sup>(١)</sup> لأن ذلك أمر معلوم من قبل، فإبراهيم الذى تبرأ من أبيه وقومه لما تبين له أنهم أعداء لله - كما جاء فى القرآن - أطلعته ربه بأمر أولئك البنّامين الفجرة من بنيه الذين رغبوا عن ملته وارتنكوا، وأخبره أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة<sup>(٢)</sup>، فقال سبحانه له: «**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**» (سورة: ١٢٤)، فكان من الطبيعى لشيخ الأنبياء أن يمهّد بوحي من ربه للتبديل ولذلك الحجر الذى سيصير يوماً ما رأساً للزاوية، وأن يتبرأ من أولئك الرافضين للحجر لكونهم الذين فعلوا فى أنفسهم - بظلمهم ويتخليهم عن ملته - ما استوجب ذلك الاستبدال من قبل الرب.

(١) ووجه الغرابة من وجهة نظرهم أن يرسل الرب رسولا من غير الإسرائيليين يعنى من بنى إسماعيل بن إبراهيم الذى رفضته هو وأمه زوجة أبيه سارة.  
(٢) تفسير ابن كثير ١: ١٦٧.

## الحقيقة التاسعة

أحقية ذرية إسماعيل في أرض فلسطين

كما ترونها حقائق التاريخ

والمنظمات الدولية وأدلة العقل والنقل

المعهود لدى إسرائيل أنها لا تقيم وزناً للأعراف ولا للمواثيق الدولية، ولا للقيم ولا للمبادئ الإنسانية، وبشهادة التاريخ كم هو حجم القولين التي صدرت بحقها على امتداد أكثر من خمسين عاماً دون أن تلقى لها بالاً، ونذكر من جملة تلك القرارات التي تدين وتبطل جميع الأعمال التي تقوم بها إسرائيل بما في ذلك أعمال القتل والإبادة والتدمير ومصادرة الأراضي والأموال التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير الوضع القانوني للقدس بالقوة:

قرار الأمم المتحدة رقم ٢٢٥٣ بتاريخ ٤ : ٧ : ١٩٦٧م،  
وقرارها رقم ٢٢٥٤ بتاريخ ١٤ : ٧ : ١٩٦٧م، وقرارها رقم ٢٨٥١  
بتاريخ ٢٠ : ١٢ : ١٩٧١م، وقرارها الصادر في أول ديسمبر عام  
١٩٩٦م وقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ : ١١ : ١٩٦٧م،  
وقراره رقم ٢٥٢ في ٢١ : ٥ : ١٩٦٨م، وقراره رقم ٢٩٨ بتاريخ  
٢٥ : ٩ : ١٩٧١م، وقراره رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٢ : ١٠ : ١٩٧٣م،  
وقراره رقم ٤٧٦ الصادر في يونيو عام ١٩٨٠م، وقراره رقم ٤٧٨



في ٢٠ : ٨: ١٩٨٠م الذي يقضى بعدم الاعتراف بقانون القدس الذي أصدره الكنيست في ٣٠ : ٧: ١٩٨٠م بشأن توحيد القدس (الشرقية والغربية) وجعلها عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، كما دعا الدول التي أقامت بعثات دبلوماسية في هذه المدينة المقننة إلى سحب هذه البعثات.. وأكد المجلس في قراره أن قانون الكنيست يشكل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي ويتعارض مع اتفاقية جنيف الرابعة الموقعة في ١٢ : ٨: ١٩٤٩م والمتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب.

وقد سبق هذا القرار السالف الذكر، القرار رقم ٢٦٧ بتاريخ ٣ : ٧: ١٩٦٩م المؤكد لعدم قبول مبدأ الاستيلاء على الأرض بالغزو العسكري، وأبدى أسفه لعدم احترام إسرائيل لقرارات المجلس والجمعية العامة، وشجب بشدة جميع الإجراءات المتخذة لتغيير وضع القدس واعتبرها باطلة، ودعا إسرائيل مجدداً إلى إلغاء جميع هذه الإجراءات.. وقراره رقم ٥٩٢ في ٨ : ١٢: ١٩٨٦م.. وقراره رقم ٦٨١ في ٣٠ : ١٢: ١٩٩٠م.. وقراره الصادر في ١٦ : ٥: ١٩٩٦م.. وقراره الصادر في ١٤ : ٧: ١٩٩٨م.. وقراري منظمة اليونسكو ٣٣٤٢: ١٥م: ٣٣٤٣ في خريف عام ١٩٦٨م.. وقرارها رقم: ٣٤٢٢ في نوفمبر ١٩٧٢م .. وقرار لجنة حقوق الإنسان رقم ٤ بتاريخ ١٤ : ٣: ١٩٧٣م.. وقرار محكمة العدل

بشأن عدم أحقية إسرائيل في بناء جدار الفصل العنصري... وقررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ : ٧ : ٢٠٠٤م بأغلبية ١٥٠ صوتاً ضد ٦ أصوات منها بالطبع الولايات المتحدة، وامتناع ١٠ عن التصويت بهدمه وإرجاع الأراضي المفتوحة التي بنى عليها لأصحابها .

وما ذكر هنا في الحقيقة، بعد قليلا من كثير مما لا يؤيد حق إسرائيل في أرض فلسطين، غير أن جميع هذه القرارات من كل هذه المنظمات الدولية لا تعدو أن تكون حبرا على ورق، ولم تفكر أي من هذه المنظمات الدولية في معالجة هذه الدولة المعتدلة والقائمة على الإزهاق واغتصاب أراضي الغير والتي تدافع عنها أمريكا باستماتة، بأى من تلك العقوبات التي تستخدم ضد الدول الإسلامية والعربية فلا سبب لو لأتفه الأسباب أو عقب لاختلاق أسباب، حتى وصل حال إسرائيل الآن والمسلمين - الذين تداعت عليهم الأمم بسبب إغراضهم عن منهج ربهم فأضحوا كالأيتام على ملأه للنام - إلى ما وصل إليه.

وإذا كان يهود صهرنا لا يكونون عن دعوى أحقيتهم في أرض الميعاد بل وفي قبلة المسلمين الأولى (المسجد الأقصى) فيعملون - جاهدين وجادين لإثبات هذا الحق المزعوم والوعد المكذوب - على نقضه وطمس معالمه لحد أن صار هدمه لا قدر الله مسألة وقت



على ما ذكرت صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية في ١٢ : ٨ : ١٩٦٩م،  
فإنّ الثابت شرعاً وتاريخاً:

١- أن سليمان الذي يريدون أن يرفعوا على أنقاض المسجد الأقصى هيكلًا له خالوه، صل على تجديد هذا المسجد العتيق المبارك الذي بنى بعد المسجد الحرام بأربعين عامًا على ما صرح في الحديث، وذلك بعد أن اندرست معالمه عبر القرون المتطاولة، فكيف بمن يجدد مسجدًا هو ثلثي مسجد بنى على وجه الأرض، وله من المكانة ما له، أن يبني مكانه أو أسفله أو حتى بجواره هيكلًا تتنافى رسالته مع رسالة المسجد تتألفًا يصل إلى حد أن يبني أحدهما على أنقاض الآخر كما تزعم يهود؟.

٢- إن الملاحظ في حديث المؤرخين القدامى من أمثال ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) في كتابه (الكامل) وابن كثير (ت ٧٤٧هـ) في كتابه (البداية والنهاية) وغيرهما<sup>(١)</sup>، أنهم لم يعرضوا سوى لبناء المسجد وإتمامه على يد داود وسليمان عليهما السلام ولم يتطرقوا

(١) ينظر : حشبهما عن هذه الحقبة في الكامل ١: ٢٢٧، ٢٢٨، والبداية لنهاية ٢: ٩-٣٣ من المجلد الأول، وينظر كذلك تاريخ الطبري ١: ٤٧٦-٥٠٣.

للتحديث عن الهيكل<sup>(١)</sup>، بل إن الذين كتبوا في هذا الموضوع من الباحثين للتوراتيين والإفرنج ومن ساندتهم من حراس الفكر الأمن العربي في جامعاتنا ومراكز أبحاثنا ممن أشاروا إلى وجوده، لم يقدموا دليلاً أو مصدراً واحداً يكشف عن حقيقة هذه المفردة كما خالها معشر يهود سوى التوراة، إذ لم تسهم المخطافات الأثرية في إثبات ذلك كما لا توجد مصادر تاريخية تدعم السجل التوراتي، ومن قرروا تلك الحقيقة من علماء الآثار في الجامعة العبرية وغيرها (أمنون بن ثور) و(طومسون) و (روني ريك) و (ميلر) و(غاربيس) و(ليتش) و(فلانغن) وغيرهم، ومن ثم بدأ الإجماع في السنوات الأخيرة على أن فكرة مملكة سليمان وهيكله المزعوم في فلسطين تتداعى تدريجياً.. وقد أسهم هذا الغياب للأدلة والآثار بقوة، في إسقاط ماضي هذا الهيكل المنهول، وإن كانت فكرته لا تزال تهيمن على خطاب الدراسات التوراتية<sup>(٢)</sup> على الرغم من أن التوراة

(١) كما لا وجود لنكر هيكل سليمان في قواعد اللغة من نحو لسان العرب والقاموس المحيط والمصباح المنير ومختار الصحاح وغيرها، مع استبعاد هذه المعاجم لجميع مفردات اللغة ورغم قدم هذه المفردة.

(٢) يقول عالم الآثار الأمريكي (جورنون فرانز) الذي قضى عامًا يقف عن الآثار في القدس: "لا يوجد أي دليل يثبت أن هيكل اليهود كان موجوداً في هذا المكان، لكن اليهود يفترضون وجوده في هذا المكان دون أن يقدموا البرهان على دعواهم".. ينظر : مجلة الأثر ١٩٩٦:١٦٢ ص ١١٢٣، ومفكر الإسلام عدد ١٩٨٤: ٤.





باعتبارها نصا مقدسا ليست مرجعا ولا تعكس بالضرورة الحقائق التاريخية، والأمر فيها - على ما يبدو - لا يدعو أن يكون محاولة ممن صاغوا التوراة في القرن الثاني ق. م لإثبات تواجد لليهود بأى شكل في أرض الميعاد<sup>(١)</sup>.

٣- وتدعيما لما سبق تقريره من عدم وجود أى أثر يدل على وجود الهيكل، نقول: إنه ومنذ أن وُضعت أقدام الاستعمار الأوربي الأرض العربية في القرن التاسع عشر، والمستشرقون وعلماء الآثار ما انفكوا يتوالفون على القنص باعتبارها مهد المسيح ومكان دعوته وأيضا بوصفها أرض التوراة، وقد استغلت الحركة الصهيونية هذا الأمر في خططها للترويج لدعوى عودة اليهود إلى الأرض المقدسة، مستفيدة من أطماع القوى الأوربية الاستعمارية في الشرق، وكونت من أجل العثور على أى أثر يثبت حقها للعودة، جمعيات ومؤسسات ومدارس بحثية كان من أهمها:

صندوق استكشاف فلسطين ، وهو هيئة بريطانية أنشئت عام ١٨٦٥م، جمعية الاستكشاف الفلسطينية وهي جمعية يهودية أمريكية تأسست عام ١٨٧٠م، جمعية الآثار التوراتية وهي جمعية بريطانية أنشئت عام ١٨٧٠م، والجمعية الألمانية للأبحاث الفلسطينية أنشئت

---

(١) ينظر: (إفخلاق إسرائيل القديمة) مقال لأحمد النيش ص ٨٩ من مجلة القدس عدد ٢٨.

عام ١٨٧٧م، والمدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية والأثرية أنشأت عام ١٨٩٢م، والجمعية الألمانية للدراسات الشرقية أنشأت عام ١٨٧٩م، والمدرسة الألمانية للأبحاث الشرقية للقدس تأسست عام ١٩٠٠م وهي تعرف الآن باسم مدرسة أولبرايت نسبة لاسم العالم التوراتي (وليام فولبرايت) اليهودي الأصل، والمعهد البروتستانتي الألماني للدراسات التاريخية في الأرض المقدسة أنشأ عام ١٩٠٢م، وقد قامت كل مساعي هذه الجمعيات بالقتل الذريع في إيجاد دليل أثرى واحد يثبت وجود بقية الهيكل أسفل الحرم القدسي الشريف أو المسجد الأقصى.

وخارجاً عن نطاق العمل المنظم والكثيف لهذه الجمعيات وورثاتها من المؤسسات الإسرائيلية فقد عملت في مدينة القدس تحديداً، للبحث عن بقايا هيكل سليمان، عدة بعثات أثرية معنية بالحفائر، انطلقت جميعها من فرضية صحيحة ما جاء في التوراة من معلومات تاريخية وحضارية كان أهمها:

حفائر (باركلي) المبشر الأمريكي وكانت عام ١٨٣٩م..  
وحفائر (شارلغروان) الضابط الإنجليزي وكانت عام ١٨٦٧م..  
حفائر (بليس) وهي فيما بين عامي ١٨٩٣ و١٨٩٦م.. وحفائر (الكابتن واركر) ضابط إنجليزي وكانت عام ١٩١١م بناء على طلب وتمويل المليونير اليهودي روتشيلد.. وحفائر (ماكالميسر) الإنجليزي



١٩٢٣-١٩٢٦م.. وحفائر (كروفت) عام ١٩٢٧.. وحفائر المدرسة الإنجليزية للأثار عام ١٩٦١م.. وحفائر مصلحة الأثار الإسرائيلية عام ١٩٦٧م تحت إشراف (دهنس).. والحفائر المشتركة بين الجامعة العبرية وجمعية الكشف الإسرائيلي منذ ١٩٦٨م، ولم تسفر كل هذه الحفائر كذلك عن أي شيء سوى تشويه معالم الأثار والحضارة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

٤- ومما يدعم ما سبق تقريره من عدم وجود أي أثر للهيكل المتخيل.. ما أعلنه العالم الأثرى الإسرائيلي (زئيف هرتسوغ) حديثاً، وذلك في تقريره المثير للجدل للموسوم بـ (الثوراة: لا إثبات على الأرض).. ذكر:

«أنه بعد سبعين عاماً من الحفريات المكثفة في فلسطين، توصل علماء الأثار إلى نتيجة مخيبة، هي أنها: لم يكن هناك أي شيء على

---

(١) وقد بدأت هذه الحفائر من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية من الحرم القدسي، وتصدعت على إثرها بعض المنشآت التاريخية القريبة من الحرم، بل وهدم حي المغاربة وأثارها الإسلامية بالجرافات، وأزيلت - تحت إشراف وزارة الأثار الإسرائيلية - سمع العالم وبصره - (الزاوية الفخرية) من العصر المملوكي، كما تم حفر نفق تحت المباني الأثرية التي يعود تاريخها إلى القرن السادس والسابع للهجريين (١٢-١٣م)، بطول ٢٨٠متراً، وترقب على ذلك القطار رباط الكرد ومبنى المدرسة العثمانية، وتصدع خطير في المدرسة الجوهرية أحد أهم الأثار المملوكية بالقدس.

الإطلاق، ولا نذكر لامبراطورية داود وسليمان<sup>٢</sup>، ويأتي تقريره هذا - بالطبع - بعد أن استقرخ الدارسون التوراتيون والآثاريون ومنهم إفرنج ومنسبون إلى دائرة الآثار الإسرائيلية الرسمية كل ما في وسعهم، وبعد أن بحثوا في كل مكان ورد اسمه في التوراة التي جعلوها في يد والمجرف في اليد الأخرى، وكانت المفاجئة أن ما وجد يؤكد بطلان ما جاءت به التوراة ويوجب قراءة التاريخ العربي عامة والفلسطيني خاصة قراءة جديدة وموضوعية<sup>(١)</sup>.

٥- كما يدعمه شهادة الدكتورة (كاتلين كابينوس) مديرة الحفائر في المدرسة البريطانية للآثار بالقدس، التي قررت سنة ١٩٦٨م ضمن فريق من علماء الآثار المسيحيين عدم وجود أي أثر لهيكل سليمان.. وشهادة فريق المهندسين العالميين الذين درسوا القربة التي يقوم عليها المسجد الأقصى في وقت لاحق، وتعمقوا فيها، وخلصوا إلى أنه لا يوجد في ذلك المكان أي دليل أو شبهة لأي أثر من الهيكل الذي تدعى الصهيونية أنه مدفون بجوار حائط البراق الغربي بالمسجد الأقصى<sup>(٢)</sup>.

(١) مجلة القدس العدد ٢٨ من ٩٠-٩١ عن صحيفة هآرتس في ١٠١٩٩٩: ٣.

(٢) ينظر (محمد نبي الإسلام) للطهطاوي من ١٣-١٤، و(القدس مدينة السلام عبر التاريخ) من مطبوعات الجمعية التشريعية بمصر العربية من ٢٩، و(عروبة بيت المقدس) للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد ٦٧ من ٥٦.



والغريب في الأمر، أنه وعلى الرغم من أن هذه المصاعى السافرة الذكر والتي لم تسفر عن شيء يكشف عن الهيكل المدعى والتي تشكل حوقاً حضارياً ليس على معالم ومقتضات المسلمين وحسب، بل وعلى الطابع السكاني بها بتشييد الفنادق والبيوت لإسكان المهاجرين اليهود مكان المباني الإسلامية القديمة والعربية الحديثة.. إلا أن الصهانية لا يزالون يرددون المزاعم ويخططون إقامة الهيكل على جزء من الحرم للقدس بل وعلى أنقاضه وفي القلب منه، وتتم محاولات وضع أسس الهيكل بشكل سنوي منذ عام ١٩٨٩م، ونماذج الهيكل موجودة معروضة، ولتمويل تبرع به كبار الأثرياء اليهود بينما المهندسون وعلماء الآثار وغيرهم يتطوعون وجاهزون للعمل في أية لحظة.

٦- وكما عجزت تقارير وشهادات الصهانية ومن والاهم عن إيجاد أي أثر للهيكل وعن إثبات أي دليل تاريخي يؤكد وجوده، فقد عجزت كذلك عن إثبات أي أثر أو دليل يقطع بأن حائط البراق الذي يسمونه بـ (حائط المبكى)، جزء من سور كان حول هيكل سليمان.. بل إن اللجنة الدولية المتفرعة عن عصبة الأمم المتحدة التي تكونت سنة ١٩٢٩م برئاسة (وولفرشو) للنظر في الخلاف حول ملكية المبكى ومكثت شهراً كاملاً في فلسطين من ١٩٠٦: ١٩:٧: ١٩٣٠م

واستمعت لأحد عشر محامياً من مسلمين ومسيحيين من مختلف دول العالم كما استمعت لأقوال ٢٢ شاهداً قدمهم الجانب اليهودي، اثبتت من خلال وثيقة فندت فيها إيماءات الإسرائيليين بحرقهم التاريخي في القدس، بأن الحائط وقف للمسلمين العرب ولا يجوز لأحد أن يلمزهم فيه، ومن ثم لم تقر هذه اللجنة وجهة النظر الصهيونية وما تخطط له من إخراج ١٠ آلاف مسلم من القدس القديمة بأي شكل وبمختلف الأساليب، وإحلال ٥٠٠٠ يهودي مكانهم، ومن إزالة الأبنية التاريخية والأثار الإسلامية الملاصقة لسور المسجد الأقصى من الجهة الغربية وتوسيع حائط المبكى، ومن فتح أنفاق تحت المسجد، وحكمت لجنة (وولترشو) الدولية بعد دراسة وافية لكافة الوثائق، بإبقاء الحال على ما هو عليه ومنع اليهود من إدخال أي تغيير فيه.

وبنحو ذلك فعلت منظمة اليونسكو التي أدانت بقراريها ٨٢، ٨٣ في ١٩٧٠م إسرائيل على إحراق المسجد الأقصى وعلى استمرارها في الحفريات كما دعتها للالتزام فوراً بالقرار ١٧م: ٣٤٢٢ الصادر في نوفمبر ١٩٧٢م القاضي بالكف عن تغيير معالم القدس.

٧- بل إن العالم اليهودي (إبراهيم براتيس) الذي قضى معظم حياته في إجراء حفريات حول (القدس وعلاقتها باليهود)، كشف - حسب ما جاء في مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي



ص ١٢٦ العدد ١٥٦ نقلا عن جريدة السبيل الأردنية العدد ٣٥١ -  
عن استنتاجات غاية في الخطورة، تقول: "إنه لا يوجد أى دليل على  
وجود ما يسمى بـ (حائط المبكى)"، وقال في تصريحات أدلت بها  
مؤخرا: "إنه فى المكان الذى يدعى اليهود الآن أنه حائط المبكى  
والمصلى لسور المسجد الأقصى لا يوجد شيء يسمى حائط  
المبكى". الأمر الذى يؤكد من جديد عدم وجود أية أدلة مادية تشير  
من قريب أو من بعد إلى الهيكل المزعوم، ويؤكد بالتالى كذب  
الادعاء اليهودى بالحق التاريخى لهم فى أرض فلسطين.

٨- كما يؤكد ذلك، موقع المسجد الأقصى نفسه.. ذلك أن من  
أبرز المعالم التى تميز الحرم الإسلامى الشريف أنه مستطيل ويأخذ  
الاتجاه من الشمال إلى الجنوب فى اتجاه قبلة مكة المكرمة على  
خلاف الهيكل قبل إبادته وتدميره ومحوه، فإنه وكما أوضحت دراسة  
الأثرى الفرنسى (دى سولس) فى كتابه (تاريخ الفن اليهودى) - كان  
يأخذ الاتجاه من الغرب إلى الشرق، وهذا فى حد ذاته ينفي نفيا قاطعا  
الرأى القائل بأن الهيكل يقوم مكان الحرم الإسلامى الشريف<sup>(١)</sup>، إن  
افتراضنا جدلا وجود هيكل فى الأصل.

(١) ينظر (فلسف عربية إسلامية) د. فرج راشد ص ٧٠ من كتاب (إسرائيل وكثرة الاستعمار بين  
المسلمين) د. حسن طلائع ص ١١٩-١٢٧ مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة عدد ٢٣

٩- ثم إن القول بثبوت أحقية اليهود في بلاد المسلمين المقدسة بحجة الهيكل وبمجرد انتسابه لنبي الله سليمان الذي يعدونه نبياً من أنبيائهم، قول خاطئ ومجاف للحقيقة، ذلك أن سليمان وجميع آبائه وأجداده من النبيين ما كانوا قط في يوم من الأيام يهوداً أو نصارى أو عابدين لعجل أو وثن، والعقل والنقل يقضيان بهذا، فجميعهم كانوا على ملة أبيهم إبراهيم حنيفاً مسلماً، والشرك أبغض ما يكون إلى قلوبهم، وهم ما بعثوا إلا لترسيخ عقيدة التوحيد التي هي في الأساس ملة إبراهيم ووصيته إليهم، واليهودية والنصرانية ما ظهرت وما وجدت إلا فيما بعد، فأنى له أن يكون هو أو أحد من أبائهم كذلك، **﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾** (آل عمران: ٦٥)؟.

وعليه فعندما يقرر القرآن حقيقة **﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾** (آل عمران: ٦٧)، يكون قد وافق العقل في تقرير ما كان عليه أبو الأنبياء وما كان عليه أبناؤه بالطبع من التوحيد الخالص، وما عند القوم من دليل يثبت أنهم أو واحداً منهم كان على غير ذلك، ومن هنا ساء للقرآن أن يوجه خطابه مستكراً وقائلاً: **﴿ألم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا يهوداً أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله ومن أنظلم ممن كتم شهادة عنده وما الله بغافل عما تعملون﴾** (البقرة: ١٣٠).. وأن يوضح بعد، ما كان من أمر سليمان عليه





السلام، ومن أمر تسبيح الخلق ودعوة الطير إلى دينه الإسلام، فلقد جاء الهدد - بعد أن استعرض عليه السلام ملكه ولم يجد - جاء متعجباً لما فعله ملكه سبأ، وقال: ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل لهم لا يهتدون﴾ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون \* الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ (النمل: ٢٤-٢٦)، وبعد محاورة ومداورة بينها وبين سليمان ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ (النمل: ٢٤).. وأن يخلص من كل ذلك إلى حقيقة أن ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾ (آل عمران: ٦٨)، وأن المسلمين من سلالة إسماعيل هم الوارثون الشرعيون لثراث الأنبياء لأنهم الذين آمنوا برسالاتهم الحق بعد أن كفر بها غيرهم، وهم الذين صاتوا بيت المقدس وسائر المقدسات الإبراهيمية والموسوية والسليمانية بعد أن تسبب غيرهم في خرابها، وهم الذين حافظوا - على مدار الأحقاب والأزمان - على تلك المقدسات واعتبروها جزءاً لا يتجزأ من تراثهم الديني والروحي بعد أن شوه غيرهم معالمها.

١٠- وإذا كان الخليل إبراهيم عليه السلام هو الذى رفع قواعد البيت الحرام بصحبة ابنه من هاجر إسماعيل عليه السلام، وكانت المدة الزمنية بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى على نحو ما ورد فى الصحيح أربعين عامًا.. فمن المعقول - سعيًا وراء تحقيق موعود الله لشيخ الأنبياء عليه السلام - أن يكون إسحاق عليه السلام ابنه من سارة، هو الذى جدد بهيكل من أبيه لو بأمر من الله للمسجد الأقصى فى الأرض التى بارك سبحانه فيها وحولها، وعليه فليس لداود وسليمان من عمل سوى رفع قواعد وتجديده مرة أخرى، فإين الهيكل من كل هذا؟.

١١- وإذا كان هذا المسجد هو عينه الذى أسرى بمرسولنا محمد ﷺ إليه وقد رآه - بالطبع - على الحال الذى كان عليه، وإلا لما أطلق عليه القرآن مسجدًا، ولما تسنى للرسول أن يصفه للمشركين عندما جادلوه فى أمره صبيحة أسرى به إليه.. فإن هذا يعنى أن المسجد الأقصى خلال هذه المدة الطويلة التى استمرت من عهد إسحاق الذى كانت ولادته فى القرن العشرين قبل الميلاد إلى مبعث النبي محمد سنة ٦١٠ على الأرجح، وإسرائه ﷺ إليه بعد ذلك، مرورًا بعهد داود ثم سليمان الذى توفى سنة ٩٣٠ ق.م وبحكم البابليين والفرس واليونان والبطالمة والرومان لم تطله يد التخريب والإبادة، الأمر الذى يشكك فى وجود هيكل أصلا بل وفى مصداقية ما جاء



في التوراة بشأنه، إذ كيف يتأتى أن يكون ثمة هيكل قد دمر على نحو ما ورد في الكتاب المقدس - سفر الملوك الثاني ٢٤: ١٢، ٢٥ وما بعدهما، وإرميا ٥٢: ٣٠ - وهو في مكان المسجد الذي ظل طوال هذه المدة وسيظل شاهداً على كذب ودعوات اليهود في زعمهم أن الهيكل المزمع بنائه الآن من جديد، يقع أسفله أو بجواره، أو حتى في محيطه؟، إن الجواب المتعقل بقضي بأن لو كان الأمر على نحو ما يدعون لثم تخريب الأقصى هو الآخر لوفدع الهيكل في أسفله كما يدعى أو حتى في زمام البلاد التي طالها التدمير، وبخاصة مع ما قيل من أن آخر تدمير لحق المدينة كان بعد ميلاد المسيح بـ ١٣٨ عاماً أي قبل تشريف النبي ﷺ له وللبقعة المباركة من حوله بزمن ليس بالبعيد.

١٢- وحين هاجر صلوات الله وسلامه عليه إلى المدينة عقد بعد الهجرة مباشرة عقداً مع يهودها ألزمهم فيه على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم، فلو كان هناك هيكل بحق كما يزعم يهود عصرنا لما خفي ذلك عن أسلافهم ممن عاصروا رسول الله وساكنته، بل ولطالبوه ﷺ به - وهم في هذا أصحاب باع طويل - ولأثبتوا أحقيتهم له أو لنصوا على الأكل على ملكيتهم إياه إن لم

يتظاهروا بشأنه ويحتجوا على ذهبيه إليه، لاسيما وقد عرفوا بإسرائته إليه ومعراجه منه إلى السماء، منازعته إياهم فيه.

١٣- ثم إن النبي محمد ﷺ كان يكره التشبه باليهود والنصارى حتى قال لقتلهم: إن محمدا لم يدع لنا شيئا نحن عليه إلا وخالفنا فيه، فهل يعقل أن يحط رجل النبي ﷺ ليلة الإمراء في موضع كان في يوم ما هيكلًا، تنتافي رسالته مع رسالة المسجد الذي بنى عليه وفي ذات المكان الذي اعترف لليهود - قبل وبعد تحويل قبلة المسلمين إلى الكعبة - بأنه قبلتهم في صلاتهم مع علمهم واعترافهم كذلك بأنه ﷺ وصحابته ما كانوا يتجهون في صلاتهم أيضًا إلا إلى المسجد الأقصى؟.

١٤- وعند فتح المسلمين لبית المقدس سنة ٦٣٦ من الهجرة وإعطاء عمر وثيقة الأمان لأهلها تضمنت الوثيقة: "ألا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود"، فلو كان هناك هيكلًا كما يزعم يهود الشتات لنص عمر عليه في هذه العهدة الشهيرة ولأمنه باعتباره مكانًا مقدسًا، إذ هو عينه الذي آمن النصارى على كنائسهم وصلواتهم، وهو عينه الذي رفض أن يصلى في كنيسة القدس عندما دعاه مطرانها لذلك، خوفا من أن يتخذ المسلمون ذلك ذريعة لأن يستولوا عليها ويحولونها بعنث إلى مسجد، بحجة أن عمر صلى فيها.



١٥- لقد صرح (جوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) أن ما يسمى بالهيكل ما هو إلا كنوزية، كما صرح الكاردينال (اسطفانوس الأول) بطريرك الأقباط الكاثوليك في جريدة الأهرام المصرية يوم الجمعة ٢٢:٨ ١٩٦٩م - أي عقب إحراق اليهود للأقصى في ١٢:٨ ١٩٦٩م الذي أدلته مجلس الأمن بالقرار رقم ٢٢١ في ١٥:٩ ١٩٦٩م - مستطفاً ما ذكرناه في الأسطر القليلة الماضية بأن إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى تحد لكل النبوءات والكتب المقدسة، وأردف يقول:

«إذا كان اليهود لا يؤمنون بذلك فيرجعوا إلى التاريخ، وليروا ما صنعه أجدادهم في عهد الإمبراطور (يوليانوس) الذي بنى عام ٦٢ م إيلياء على أنقاض مدينة القدس، لقد حاولوا إعادة بناء هيكل سليمان فبيطت أسنة النار وزلزلت الأرض ولزالت كل ما صنعوا»<sup>(١)</sup>.

١٦- إن الفكرة الصهيونية المياسية التي نادى بها (اليونسكر) الطبيب اليهودي الروسي سنة ١٨٨١م والتي تنادى بوجوب تهجير اليهود من المجتمعات التي يعيشون فيها إلى إقليم يمتلكونه ليكون أمة يهودية، وتبعه فيها هرتزل الذي رشح لتحقيق هذا الغرض أرض فلسطين باعتبارها الموطن الأصلي لهم، ولهم - على حد زعمه -

(١) المسجد الأقصى الشيخ عبد اللطيف المشتهري ص ٨٣.

الحق للشرعي في أن يعودوا إليه.. هذه الفكرة وإن أفلحت بفشل مسيرة الانتداب البريطاني لتدعيم هذا الاتجاه، إلا أنها حملت في طياتها الزيف والكذب والزور والبهتان.

ذلك أن الكثرة الغالبة من اليهود الذين نزحوا إلى فلسطين في العصور الحديثة، لا يمتون بأبني صلة ليهود فلسطين القدماء، ومن ثم فليس لهم حق تحت أي مبرر فيما يختصونه من أراضي الغير إن صح الزعم بأن ليهود فلسطين حق شرعي أصلاً في تلك الأراضي المقدسة، ولا سيما أن أولئك النازحين ينتمون إلى أجناس غير سامية اعتنقت اليهودية في فترات متباعدة عبر التاريخ.. فقد كان من اليهود الذين طردهم الملك الكاثوليكي (فرديناند) من أسبانيا لمستوطنوا أرض فلسطين، كثير من المواطنين الأسبان الذين تهودوا وانتشروا في إيطاليا وفرنسا والشرق الأوسط، ومثل ذلك يقال عن يهود طائفة (الأسكناز) وهم يهود شرق أوروبا ووسطها، فهم أحفاد الخزر الذين عاشوا في جنوب روسيا واعتنقوا الديانة اليهودية في القرنين السابع والثامن الميلاديين، بل إن معظم الصهاينة الأوروبيون وليس هناك أي رابط عضوي بين أجداد هؤلاء جميعاً وبين الأسباط<sup>(١)</sup>.

١٧- ومن الأمور الثابتة كذلك أن الرسول ﷺ أوقف في أرض الخليل أول وقف، وجعله للصحابي الجليل (نسيم بن أوس) الداري،

(١) ينظر: الفس عربية إسلامية د. فراج راشد ص ٢١٦.



وقد عرف هذا الوقف حتى الآن بالوقف التيمى نسبة إليه.. كما أوقف الخليفة عمر بن الخطاب وقفاً آخر فى جبل أبى غنيم للصحابى الجليل (عياض بن غنم)، وقد عرف هذا الجبل ولا يزال باسمه.. ومن المعلوم بالضرورة أن الوقف الإسلامى لا يجوز أن يباع ولا أن يشتري، ومن المعلوم أيضاً بالضرورة أن اليهود الذين يجيدون فنون التزوير والتزييف احتلوا هذه الأماكن ودعواها لأنفسهم، كما تبرع اليهودى (زيمسكوفيتش) بـ ٦٠٠ مليون دولار لبناء مستوطنة فى جبل أبى غنيم ضارباً هو وقومه بكل القوانين والشرائع السماوية عرض الحائط، الأمر الذى أثار حفيظة علماء المسلمين فى أنحاء المعمورة.

وكان من توصيات المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية فى ٢٢ من ذى الحجة ١٣٨٩ هـ الموافق ٢٨ من فبراير ١٩٧٠ م أن بيت المقدس وما حوله إنما هى أرض أوقاف أوقفها المتبرعون منذ القدم على مصلحة المسلمين، ومن ثم فهى ملكة للمسلمين جميعاً، واغتصاب شبر منه تحت أى مبرر يفرض عليهم السعى لتحريره لاتفاق أهل العلم على (أن شبراً ليس من أرض المسلمين بالمشرق وجب على أهل المغرب أن يسعوا لاسترداده)، وأكدت التوصيات على (أن الجهاد بالأموال والأنفس أضخم فرض عين).. وأنه

وباعتبار (أن الأرض المقدسة والقدس الشريف والمسجد الأقصى ملك للمسلمين كلهم، فإنه يتحتم على المسلمين في كل مكان أن يبادروا إلى تحمل واجباتهم في الجهاد والعمل على إرسال المجاهدين إلى ساحات القتال)، (ومن يتخلف عن تحمل أعباءه فقد سلك مسيلاً غير سبيل المؤمنين).. نكن الخيانة من قبل حكام المسلمين الذين هادنوا أعداء الإسلام وماندوهم لأكثر مما أجمع عليه أهل العلم - من ألا تكون المهادنة لأكثر من عشر سنوات - ونصبوا حروبهم ضد المجاهدين، حالت دون إتمام هذه الصفقة مع الله، وأبت أنظمتهم ولا تزال إلا أن تسلك غير سبيل المؤمنين، فإلى الله وحده المشتكى وإن شاء وإنا إليه راجعون.

١٨ - فإذا ما أضفنا إلى تلك الأدلة أن أول من بنى مدينة القدس منذ ثلاثين قرناً قبل الميلاد، هم اليهوديون وهم من العرب القدامى على ما جاء التصريح به في سفر إرميا ٢٥ : ٢٤، ونصه: "وكل ملوك العرب وكل ملوك اللقيط الساكنين في البرية".. وسفر حزقيال ٢٧ : ٢١ وفيه: "العرب وكل رؤساء قندار.. في هذه كانوا تجارك".. وسفر أخبار الأيام الأول ١١ : ٤ وفيه: "وذهب داود وكل إسرائيل إلى اورشليم أي ييوس وهناك اليهوديون سكان الأرض".. وسفر أخبار الأيام الثاني ٩ : ١٤ ونصه: "وكل ملوك العرب وولاة الأرض كلوا ياتون بذهب وفضة إلى سليمان". وسفر يشوع ١٥ : ٦٣





قال: "وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم".

إلى غير ذلك مما يكشف من النصوص التوراتية ذاتها عن حقيقة أن القدس (يبوس)، هي مدينة العرب اليبوسيين.. وأنهم الذين أقاموا وتعاقب على حكمهم فيها ملوكهم، دون أن يشاركهم في سكتها أحد من بني إسرائيل.. وأنها كما وصفها سيد الغلام الإسرائيلي بالنسبة إليهما - ولكل إسرائيلي من باب أولى - (مدينة غريبة).

١٩- وأضافنا إلى كل ذلك أن الحفائر الأثرية التي جرت حول المدينة، كشفت أنه في العصر البرونزي ٢٦٠٠-١٨٠٠ ق.م كانت المنطقة وما حولها عامرة باليبوسيين.. وأن الفتح الإسلامي جاء والمدينة خالية تمامًا من اليهود لأنها كانت محرمة عليهم، وهم من بعد موسى ومن بعد الغزو البابلي والروماني، قد قطعهم الله في الأرض أمنا، ومزقهم كل ممزق.. وأن وجودهم المتقطع على مدار هذه الفترة كان وجودًا طارئًا لم يبق لهم خلاله - على ما سبق تقريره - ملك ولا دولة.

تأكد لنا عدم أحقيتهم لا في مدينة القدس فحسب بل ولا في أي شبر من أرض فلسطين.. وأصبح لزامًا على كل مسلم أن يتطلع بدوره في السعي الدائم لأن تظل هذه القضية ساخنة ومحور اهتمامه،

وفي عدم الرضوخ لما يسمى بسياسة الأمر الواقع وعدم المبالغة في وصف قوة العدو والإعداد له بكل ما أوتى من قوة ورفض التطبيع معه، وفي استنعار الهم واستثمار وحشد كل الطاقات لخدمة هذه القضية، وبث روح الأمل والتفاؤل، وتمنى الشهادة في سبيل الله، والعمل على تربية جيل يعرف هذه الحقائق..

وأن يستحضر معنى ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا يَغْرَنَكْ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران: ١٩٦، ١٩٧)، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحشر: ٢)..

وعرفنا إلى جانب ذلك، أن ما فعله عمر عشية تسلم مفاتيح بيت المقدس - حين اشترط عليه أهل يثرب وأقرهم على ذلك بطريرك القدس ألا يسمح لليهود بدخولها أو الإقامة فيها - لم يأت من فراغ، ولزاد يقيننا بوجوب أن يظل العهد العمرى محترماً ومعمولاً به لأن



المسلمين مأمورون أن يتبعوا سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ولا ريب أن عمر أحدهم<sup>(١)</sup>.

وعلى مسيحي العالم أيضاً حياّل ما فعله قساوستهم، أن يثبتوا فوراً وعلى الملأ ولاهم لهم، فيمضوا ما عاهد عليه أسلافهم - وفي المقدمة منهم بطريركُ بيت المقدس (صفرنيوس) - أمير المؤمنين صر، في عدم مساكنة يهود الشتات للمسلمين العرب أصحاب الأرض في هذه البقاع المقدسة بالذات، فليس من المعقول أن يشرط بطريرك بيت المقدس على عمر ألا يسكن بهذه البقاع المقدسة يهودي وتظل خالية منهم منذ عهد عمر وحتى خلافة السلطان عبد الحميد العثماني، ثم نرى نصارى هذا العصر هم الذين يسعون بكل ما أوتوا من قوة لنقض ما أبرمه كبارهم ولتمكين اليهود من القدس.

وقد تمثل ذلك بوضوح: في وعد بلفور سنة ١٩١٧م، ثم في تمكين بريطانيا إبان فترة الانتداب على فلسطين لليهود من الهجرة

---

(١) ولاسيما مع ما جاء في عهدة أهل إيلياء التي أعطاهما عمر للبطريرك، وفيها: «وُعطى ما في الكتاب عهد الله ونعمة رسوله ونعمة الخلفاء ونعمة المؤمنين»، كما جاء في آخر الوثيقة التي حررها عمر للبطريرك في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٥هـ، ٦٣٦م يعني بعد إقرار الأخير لما قرره أهل إيلياء: «وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن إلى يوم الدين فليكن لعهد الله خائفاً ورسوله ولكتابه باغضاً...» كذا هو في تاريخ الطبري ٣:٦٠٩ أحداث سنة ١٥هـ.

إليها وتشجيعها الميلشيات اليهودية كالأرجون، وعصابة شتيرن بقيادة (بيجن) و(شامير) على بث الرعب والإرهاب وإهلاك الحرث والنمل في القرى والمدن الفلسطينية.. كما يتمثل الآن: في قيام أمريكا بالدفاع عن اليهود، وعن ممارساتهم المناهضة لأبسط مبادئ الإنسانية ضاربة بجميع العهود والمواثيق الدولية عرض الحائط.. وتمثل كذلك في تلك الدعوات المدمرة والمريضة والقذالة بالتأهب لحرب إبادة لجميع معالم الحضارة والتاريخ الإنسانيين، استعجالا لعودة المسيح وفق المضمون الأسطوري لمعركة (هرمجنون) التي اخترعها القس (جيرى فولويل) وزيف لأجلها الواقع الثابت والحقيقة البقينة للمسيح رسول المحبة والسلام، مقابل ما قدمته وقدمه إسرائيل له من مزايا ورشاوى، والتي يقودها هو وأتباعه من نصارى الغرب من أمثال (ليندسي) و(بات روبرتسون) و(جون هاجي) و(كين بوغ) و(جاك فلان إيمب) و(تشارلز تايلور) و(ستيوارت) و(راي برد بيكر) و(بول كراوش) و(جيمس سى روبسون) و(لويس بالاو) و(هيربرت أرمسترونج) وغيرهم ممن ذبح صيتهم ووجدوا لدعاويهم الباطلة والكاذبة آذانا صاغية من عامة نصارى الغرب، بل لقد أن صوّت عليها أكثر من نصف الأمريكيين حسب استطلاع للرأى أجرته مجلة (التايم) سنة ١٩٩٨م.



ولعلنا نترك الآن أكثر من أي وقت مضى أن دين الله الخاتم يحتم على المنتسبين إلى محمد وإسماعيل عليهما السلام والراغبين في ملة أبيهم إبراهيم، أن يحرروا تلك البقاع المباركة باعتبارهم وحدهم أصحاب الحق الشرعي والتاريخي فيها، والمؤمنين عليها، وبخاصة أن التاريخ يشهد ولا يزال سيل الفظائع التي يرتكبها معشر يهود في حقها وفي حق أصحابها المقيمين بها، كما يشهد ما أصابها عندما احتلها الصليبيون من قبل وقتلوا وذبحوا فيها وفي مسجدها - باسم المسيح نبي الرحمة والمحبة الذي هو منهم براء - ما يقرب من السبعين ألفاً من المسلمين دون تمييز بين شيخ أو امرأة أو عالم دين أو طفل أو مقاتل، وبقيت ترزح تحت أيديهم تسعين عاماً أهلكوا خلالها الحرث والنسل<sup>(١)</sup> إلى أن حررها القائد المسلم صلاح الدين عام ١١٨٧م.

(١) ينظر بشاعة ما أحدثه أولئك الذين أخذوا حقدهم وراء الصليب في المسلمين ومقتلاتهم وبلادهم: تاريخ الحروب الصليبية لـ (ستيفن ريشمان) والكامل في التاريخ لابن الأثير ١٠٦٨٣-٦٨٤، والقدس عربية دافرج راشد ص ١٨٤ وما بعدها، والصراع بين العرب وأوروبا د. عبد العظيم رمضان ص ٣٢١ وما بعدها، والغريب أن يحدث ذلك منهم في حين تركهم خليفة المسلمين عمر بن الخطاب وما يندبون، وصان لهم حريتهم وكراماتهم وحرمتهم، لكن نظم الإسلام إن نحن حسناه بغيره أو قارنا رموزهم بسواهم.

## الحقيقة العاشرة

**عاجل مستقبل أرض الميعاد وأجله يحدده الشرع الحنيف  
وسنن الله الكونية .. لا أمزجة البشر**

انتبهنا فيما سبق إلى أن موقع النزاع الآن بين بنى إسرائيل وبنى إسماعيل على تحقيق وعد الله لا محل له، لأن هذا الوعد قد قضى الله فيه بأمر، فقد قضى سبحانه ضمن ما قضاه: ألا حق لبنى إسرائيل في هذا الوعد بعد بزوغ فجر الإسلام، لا لأنه كان موقوفاً بمدة معينة انتهت ولفظ.. ولكن لأنهم - مع ذلك وفي أثناء مدتهم وفترة تحقق موعود الله فيهم - تعدوا حدود اللياقة مع الله ورسله، فاحتالوا على محارم الله وخالفوا وصاياه وشريعته، ولجئوا على أنبيائه والصلحاء من عباده.

ولو أنهم استقاموا على الطريقة، لظل موعود الله لهم ومعهم إلى أن أسلموه إلى أبناء أعمامهم عن طوعية الفتاة بحال لنبيائهم مع نبينا ليلة الإبراء، بل ولما سلط الله عليهم ومن قبل ذلك بزمان طويل وإلى يوم القيامة من يسومونهم من كل أمة سوء العذاب.. ولكن لمكرهم وكيدهم، آثروا البلاء والكفر والتعاسة والشقاء على سواها.

يقول ابن كثير في تفسير قول الله تعالى ﴿وَإِذ تَأْتِيَن رِبْكَ لِيُبْعِثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (الأصراف: ١١٧):



إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج مبيع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وكان أول من ضرب الخراج، ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشديين والكلدانيين، ثم صاروا إلى قهر انصاري وإذلالهم إياهم وأخذهم منهم الجزية والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت قهره وضمنه يؤدون للخراج والجزية<sup>(١)</sup>.

إنه الملخص الأمين والشديد الإيجاز لتاريخهم الحالك السواد.. لقد ذهب وعد بنى إسرائيل - بعد أن كثر فيهم الخبث وافقد فيهم الأمل - إلى غير رجعة. وإذا كان حال أكثرهم مع موسى هو ما ذكرنا، فقد **«خلف** من بعدهم خلف ورثوا الكتاب بلخون عرض هذا الأنسى ويقولون سيظهر لنا وإن بأنهم عرض مثله بلخنوه ثم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه» (الأعراف: ١٦٦).

والخلف يسكون اللام يطلق على الطلاح من الأجيال خلأفا لما كان منها بالفتح.. وهذا ما كان بالفعل - وبخاصة من الأجيال التي تلت جيل أصحاب السبت التي جاءت الآية عقب ذكر قصتهم، وتلت عصر تمكينهم وتجمعهم، أكصد: عصر حكم القضاة الذي استمر قرابة المائتي عام، وحكم الملوك الذي طال شأول (طالوت) ودأود وسليمان عليهما السلام، والذي استمر زهاء المائة عام كانت البلاد تحت يد أصحابها من العرب - فلقد ورثوا التوراة عن أسلافهم

(١) تفسير ابن كثير ٢: ٢٦.

يفسرونها بأهوائهم ويقرعونها ولا يعملون بها، ولم يكتفوا بهذا حتى راحوا بما فيهم علماءهم وقضااتهم، يغيرونها ويبدّلونها ويحرفونها ويهونون العمل بأحكامها مقابل الرشا والسحت.. وصار مثلم في استخفافهم بشرع الله وإصرارهم واستمرارهم على ما هم عليه، وبعد تركهم ما أخذ الله عليهم من موثيق عن عمد وعلم كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْخَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (الصدة:٥).

ولقد وصل الأمر بهذا الخلف الممتد ليوم القيامة، إلى أن يعظم فسادة كلما تقادم الزمان على الرغم من أنه ورث التوراة عن سبقة، وإلى أن يصير حاله على النول أسوأ من حال من سبقة، بحيث أضحي وكلما لاحت له معصية واقعها ولا يبالى، وأن يعتاض عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا، وما نتّاجه - في هذا الزمان - كل الوسائل الرخيصة في تحقيق مأربه وانتهاجه مبدأ الغاية تبرر الوسيلة إلا دليل صدق على ذلك، ناهيك عما جبل عليه من عنصرية تجسدت في الاعتداء على الآخرين بعد هدم منازلهم وإخراجهم من ديارهم بغير حق واستحلال أموال ودماء الغير وتعطش لانتهاك حرمة هذا الغير دون مراعاة لأية مبادئ أو قيم، وقد شاعت إرادة الله أن تتكشف (بروتوكولات حكماء صهيون) لتبدي حجم المؤامرة الجهنمية التي اجتمع لها وأجمع عليها ألبسة الأرض، والتي تهدف إلى إفساد العالم وتحلّله لإخضاعه في النهاية لمصلحة اليهود ولسيطرتهم دون سائر البشر.





كما شاعت إرادته سبحانه، أن ينكشف ما اعتبروه تفسيراً للتوراة وأوجبوا العمل به، وفتحوه حتى على التوراة نفسها فيما أسموه بـ (التلمود)، ومن هذه الظلمات التي غص بها هذا الكتاب: أن اليهودي أحب إلى الله من الملائكة، إذ الذي يصفع اليهودي كمن يصفع الله، ولأنه الشعب المختار فإنه يستحق وحده الحياة الأبدية أما الشعوب الأخرى فمماثلة للحمير.

لأجل ذلك كله - وغيره كثير - استحق هذا الخلف وبموجب سنن الله الكونية في إهلاك من كثرت الخبث فيهم ولا يتأهون عن منكر فعلوه، وعيده لا وعده.. حيث يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأْتِيَن رِبْكَ بُيُوتُهُمْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَمُبْرِئُ الْعَقَبِ وَإِنَّ لِفُتُورٍ رَحِيمٍ \* وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ (الأعراف: ١٦٧-١٦٨)، إذ أتى لقوم هذا حالهم أن تقوم لهم قائمة أو تقام لهم دولة، اللهم إلا إذا تساووا مع عدوهم في المعصية، فحينذاك نزل لهم العقوبة لكونهم وحسب ما تقضى به قوانين الحياة المادية أكثر عدة، ولأنهم وبشباعهم وبمن سيطروا على عقولهم أكثر عدداً.. وفي ذلك يقول عز جاره وعظم سلطانه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا \* إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّكُوا مَا عَلُوا بُتُورًا﴾ (الأنعام: ٦٠-٧٠).

لقد أوضح الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣:٢٦)، أن المراد بقوله: (فإذا جاء وعد الآخرة): أي أهدتم الكرة الثانية، كما ذكر ذلك الألويسي في (روح المعاني) من المجلد التاسع، وفيما ذكرناه ما يؤكد ربط الإفصاة الثانية بالكرة الثانية وربط الآخرة بقوله: ﴿جعلناكم لغيرنا﴾ (الإسراء: ١٠٤) وربط ذلك كله بما يحدث لليهود الآن.

وبمواصلة ما ذكره الحافظ والألويسي وغيرهما، مع ما جاء في صدر السورة من قوله سبحانه: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ (الإسراء: ٦).. بضميمة كل ذلك إلى الوعد المترتب على الإفصاء في قوله: ﴿تلقون﴾ (الإسراء: ٤).

والتعبير عن الإفصاء بالمضارع وباللام الموطنة للقسم والممحضة لوقوع ذلك في المستقبل، يعنى - فيما ترجح لدينا - بعد نزول الآية وتحول الموعد عنهم لتكون الحجة لهم ألزم وأنوم إلى قيام الساعة وتحقيق قوله: ﴿وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ (الإسراء: ٨).. وإطلاق لفظ ﴿عباداً لنا﴾ (الإسراء: ٥) الذى ليس ثمة أولى وأحق بالوصف به من النبي ﷺ وصحابته الذين على أيديهم قامت خلافة الله الراشدة، وكذا من ستعد تلك الخلافة على أيديهم قرب الساعة حيث يتجمع سبعون ألفاً من اليهود تحت إمرة الدجال.



كل ذلك يُظهر بوضوح أن الإفساد الثانية هي: المتمثلة الآن فيما يقع لليهود من علو وهيمنة<sup>(١)</sup>، ومن تبنيهم للنظام الربوي العالمي ونشرهم للنوايا المخربة للعقائد، ومن إشاعة لروح الفوضى

(١) ويكنى في إطار هذه القصة سمي يهود دافئا للتكفره بالملاح القوي وتلهمها القويح على مساعدة حظر الأسلحة المبرمة دوليًا، وسحبها كذلك للسيطرة على العالم كله لئلا تكون هي الأمة المسيطرة على باقي الأمم عند مجيء المسيح لتجلب على حد عبارة القديس، وهم لأجل ذلك يسعون لاحتلال القبول قبل احتلال الأرض، وينتصرون حروبهم بالوكالة، وقد عُيِّن لهم ذلك حتى مع أعظم قوى الأرض وحتى أصبح حكام أمريكا وأوروبا بلا استثناء يسمون في أيديهم وأشد حرصًا على تحقيق أهدافهم وأغراضهم ربما أكثر من اليهود أنفسهم.. ويكنى أن تعرف لإثبات ذلك: أن أمريكا - حتى تاريخ مطالبة فلسطين المجتمع الدولي للاعتراف بالقولة الفلسطينية في ٢٨ : ٩ : ٢٠١١م - لم ترضى عليه أبدًا - قد أساءت استخدام حق النقض (الفيتو) لصالح إسرائيل ٣٦ مرة، وكان ضمن هذه المرات: الامتناع عن إدانة إسرائيل لقتلها قتيح القيد أحمد ياسين، وبلقها المستوطنات على أرض فلسطين المحتلة، واعتداءاتها المتكررة على المسجد الأقصى والمصلين فيه، وقلعها الأبرياء من النساء والأطفال في منحة غزة.. ناهيك عن تصريحات القادة الأمريكيين بمساعدة إسرائيل قتلًا وقتلًا على حساب الحق العربي؛ ومن ذلك قول الرئيس كارتر - كما في كتاب (البعد القريب في السياسة الأمريكية) ص ٢٦ د. يوسف المصري: لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين، وجنوا هذا الإيمان بأن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة، بل هي علاقة فريد، لأنها متجذرة في ضمير وأخلاق الشعب الأمريكي نفسه.. وقول الرئيس (ريجان): "كني دافئا أشجع إلى الصهيونية كموضوع جوهري لليهود، وبإقامة دولة إسرائيل تمكن اليهود من إعادة حكم أنفسهم بأنفسهم في وطنهم التاريخي ليحتقروا بذلك حلفاء صرا لثا سنة.. وقول (كلينتون) في خطابه أمام القواعد اليهودية عام ١٩٩٢م: "كني اعتقد أنه يتوجب علينا الوقوف إلى جانب إسرائيل في محاولاتها التاريخية لجمع مئات الآلاف من المهاجرين لمجتمعها ودولتها.. وما خطابات بوش خاصة الابن وأريانا ومواقفها المتعصبة تعصبًا أصمى لإسرائيل، بلاني تفضي على بعد.. وهكذا هو الأمر بالنسبة لزعماء أوروبا.

والخلاعة والمجون والإباحية، ومن انتهاكهم للحريات وإهدارهم للحقوق وسفكهم للدماء، ومن إعلانهم الصريح والجريء للحرب على كل المبادئ والقيم وعلى الإسلام وكتابه ونبيه وأهله، ومن تحريقهم للمسجد الأقصى الأسير والعمل على تخريبه بالحفر أسفله وبحصاره، والتضييق على المصلين بوضع القيود لدخوله ومنعهم من تأدية صلاتهم فيه بحرية.

كما تشير الدلائل إلى أنه سيتحقق عقب إفسادهم الدائمة تلك، وعيد الله بتأديبهم وعقوبتهم وتسليط المسلمين عليهم كما سلطوا عليهم عقب الإفساد الأولى التي كانت - على ما ترجح لدينا أيضا - بمعيد البعثة المحمدية وبدء من كيد بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ويهود خيبر، وهم جملة من انحازوا إلى الحجاز عقيب زمن الاضطهاد الآشوري والروماني من معشر يهود للإسلام والمسلمين، وبغوا على رسول السلام ونبي الإنسانية ورحمة الله للعالمين ﷺ، وغتروا بمعاهداته.

وفي كلام للشيخ الداعية محمد حسان يقرر فيه ما قررناه، يشير فضيلته إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْهِمُ عِبَادًا لَنَا﴾: أي بعث الله على اليهود عبادًا له ليسوموا اليهود سوء العذاب.. فالعبودية إن نسبت لله لا تكون أبدًا إلا للموحدين، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ (الفرقان: ٦٣)، وقال تعالى: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ



**سلطان** (الإسراء: ٦٥).. والبابليون وشيون والرومانيون وشيون وبختنصر وشي وليس بمسلم، فكيف يقال بأن هؤلاء تطبق عليهم الآية؟.. إذن من هم عباد الله الذين سلطهم الله على اليهود أول مرة؟ إنهم أصحاب المصطفى ﷺ.. فهم الذين طردوا اليهود من بنى النضير ومن بنى قينقاع ومن خيبر ومن بنى قريظة، وأخرجوهم من المدينة، ثم الصحابة هم الذين دخلوا المسجد أول مرة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، يوم نزل أمير المؤمنين عمر من المدينة ليتسلم مفاتيح بيت المقدس بيده، وليكتب لأهل بيت المقدس من أهل إيليا العهد العمرية المشهورة.

وها نحن نرى الكرة قد أعيدت لليهود علينا، أي على أبناء أصحاب النبي ﷺ من الموحدين والمؤمنين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال﴾، حيث أمد الله تعالى اليهود بالأموال والبنين بما لم يكن لهم على مدار تاريخهم.. كما أننا نرى أبناء اليهود من كل بقاع الأرض يجتمعون مصداقاً لقوله: ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾، والتنفير: هو نفير الحرب.. ولا أدل على صدق التنزيل هنا، مما يحدثنا به والقهم المعاصر حيث يمتلك اليهود الآن مائتي قنبلة نووية وتمتد أوروبا إسرائيل بكل ما تحتاجه من

سلاح وعتاد.. ويأتينا من وراء ومن بعد كل هذا وعد نبينا ﷺ<sup>(١)</sup> وهو يضع يده على رأس أبي حوالة الأسدى ويقول: إيا أبا حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والمساءة يومئذ أقرب إلى الناس من يدى هذه من رأسك.. وبحق لنا هذا أن نتساءل: هل تنزل الخلافة الأرض المقدسة والقدس عاصمة للصهاينة؟<sup>(٢)</sup>

وهؤلاء هم رؤسائهم وكبار أئمتهم رسول الله ﷺ ويقول لهم: إيا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعظمون أن الذى جعلكم به لحق، فيجحدوا ويصروا على كفرهم، فينزل فيهم قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أُنْبُلَافِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِنَّهُمْ لَفِي قَوْلِهِ مُتْلِفُونَ﴾ (النساء: ٤٧)، ولا يخفى مواكبة هذه الآية من كتاب الله تعالى وما شاكلها من الآيات التى نزلت فى حقهم مع ما جاء منها فى قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى

(١) كما جاء فى سند أحمد وسنن أبى داود والمسلم وصححه الأئمة فى صحيح الجامع الصغير ٧٧١٥.

(٢) مجلة التوحيد عدد رمضان سنة ١٤٢١ هـ من ٢٤ باختصار، وينظر كتابه (لا، إن تصديق القدس) ص ٩١، ٩٧.. وإلى مثل هذا ذهب لفيف من أصحاب الفضيلة العلماء من نحو الشيخ متولى الشعراوى والشيخ عبد المعز عبد الستار وغيرهما.



بنى إسرائيل في الكتاب لتطعن في الأرض مرتين» (الإسراء: ١٠)، من أمر القضاء إليهم في نفس الكتاب بالإفسادتين.. كما لا يخفى ما في معنى التطعن الواردة في آية النساء السالفة الذكر والواردة في كثير من آى عهدهم القديم، من استئصال الشيء وجعله أثرًا بعد عين، وقد كان.

ولعل ما يؤيد هذا الاتجاه في تحديد الإفسادتين الواردتين في صدر سورة الإسراء، ما نراه حاصلاً الآن ومتفقاً مع ما جاء في قول الله مخبراً عن نهاية بنى إسرائيل بعد الإفسادة الثانية: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جَنَّبْنَا بِكُمْ **لُفْيَا**﴾ (الإسراء: ١٠٤).

فما لقف بنو إسرائيل طوال تاريخهم الطويل بمثل ما لقفوا الآن، فقد بدموا ينسابون على غير عادتهم، إلى أكناف بيت المقدس في غفلة من المسلمين، وكان تعداد أول من هاجر منهم في أعقاب سنة ١٨٨٢م - على الرغم من إصدار الحكومة التركية العثمانية قانوناً بحرم على اليهود دخول للسلطين - خمسيناً وعشرين ألف مستوطن، أضيف إليهم خمسون ألفاً من اليهود الأوروبيين تسلبوا سنة ١٨٩٥م تحت جنح الاستعمار الإنجليزي.. حتى ارتفع عددهم بعيد وعد بلفور سنة ١٩١٢م إلى ٣٠٠ ألفاً يعنى بما يعادل ١٠ % من

نسبة سكان فلسطين على مساحة تقدر بـ ٢% من مساحتها.. ثم إلى ٤٠٠ ألف عام ١٩٣٦م، ثم إلى ٦٥٠ ألفاً على مساحة تقدر بـ ٨٠% من أرض فلسطين بعد أن تم تشريد ٨٠٠ ألف من سكانها عام ١٩٤٨م، وتتابعت فيما بعد الهجرات من كل أنحاء العالم حتى أربى عددهم الآن إلى خمسة ملايين من أكثر من سبعين جنسية ومن مجموع عشرين مليون هم إجمالي يهود العالم في أصقاع الأرض.

استقطب هؤلاء جميعاً في زمن قبلي، واستوطنوا البلاد بعد أن أخرجوا منها أهلها بغير حق، وأنشؤا فيها المدارس والمدارس والمصانع، وراحوا ينفثون سمومهم في أرجاء الأرض ليضمروها ويحتلوا ليتوجوا النجال - المسيح الأور - لأورشليم القدس<sup>(١)</sup>، مستعدين في تحقيق ذلك بما ألوتوا من الآلة العسكرية والقوى التدميرية والهيمنة السياسية والاقتصادية ما لم يؤتوه من قبل، وبما يفوق الوصف والخيال مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (الإسراء:٦)، وليكونوا بعد ذلك هدفاً للإهلاك والتدمير على يد عباد الله، يسلطون عليهم فيقهرونهم ويجهبون وجوههم بالمساءة والمذلة ويجوسون خلال ديارهم وأموالهم، ويدخلون المسجد الأقصى ويحررونه .

(١) (نهاية اليهود) لمحمد عارف ص ١٨.





ومما يشعر بطعم الراحة وبرد اليقين، أن هذا العداء والإفساد اللذين يصدران عن بني إسرائيل ويُحدثانه، وبخاصة ما يقع منهما في أرض المعراج، شرطان ضروريان لكي يتحقق وعيد الله فيهم وينزل بهم عقابه وعذابه.. أما الإفساد في الأرض الذي لم يقع لهم إلا بعد علو وتمكين مكناهم من قهر عدوهم وتدمير حياته بصورة يجد المغلوبين على أمرهم - من أصحاب الحق والأرض - أثرها أليماً في نفوسهم ومراة في حلوهم، فهو ما وقفنا على بعض مظاهره.. وأما لعداء والتعدي المستوجب لاحتية المواجهة، فهذا يشعر به أهل الأرض جميعاً، لكونه بادياً للعيان وظاهراً لكل ذي عينين كالشمس في رابعة النهار.

ومن الأدلة المثبتة بحدوث المواجهة بين هذه القوة الغاشمة وبين أهل الإيمان الذين يؤمل ويُرجى أن يتحقق على أيديهم وعلى يد أخلافهم وأضرابهم من أهل دمشق والشام بمشيئة الله، وعد الله بالنصر والتمكين - على الرغم من كل ما ذكرنا من هيمنة عدوهم - ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر من قوله ﷺ: **«تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول الحجر: يا عبد الله هذا يهودي ورأى فافقتله»**<sup>(١)</sup>، وقد حدث - وأيم الله -

(١) الحديث أخرجه ترمذ وأبو داود في كتاب المناقب ٦١ ويلي علامات النبوة ٢٥ وكتاب الجهاد باب قتل اليهود ٢٩٢٥، ٢٩٢٦ ومسلم في كتاب الفتن (٢٩٢٢) والحمد ٢: ٤١٧، ٤٢٠.

ما تنبأ به وأنبأ عنه رسول الله ﷺ الذي «ما ينطق عن الهوى» إن هو إلا وحي يوحى» (النجم: ١، ٢)، فقد طالعنا مجلة الأزهر في عددها الصادر في ربيع الآخر لعام ١٤٢٤ هـ الموافق لشهر يوليو لسنة ٢٠٠٢م نقلا عن جريدة (أفاق عربية) المصرية بتاريخ ٩: ٥ ٢٠٠٢م من حديث للشيخ أحمد ياسين - عليه رحمة الله - عبر الهاتف موجها كلمته لمؤتمر نقابة الأطباء الرابع بمحافظة الغربية إحدى محافظات مصر، وسمعه مئات الحاضرين: «إن بشائر النصر قد رأيناها بأعيننا، حيث إن رجال المقاومة في (رام الله) ظلوا يطاردون أحد المستوطنين حتى اختفى عن أعينهم خلف الأشجار، فانطلق الله الشجر وقال لهؤلاء الأبطال: (هذا اليهودي ورائي)، ويذهب الشباب إليه خلف الشجرة ويقتلونه.. ثم يختم الشيخ كلامه قائلا: «إنه حديث رسول الله ﷺ.. ولا حضاضة ولا غربة إن رأينا ذلك يتكرر مرة بعد مرة.

وإلى أن يحدث ذلك تُخرج هذه الأمة من بين ظهرانيها «عبداً لنا أولى بأس شديد» (الإبراء: ٥)، وأنما لقوياء من أهل السنة يتجردون للحق قوفاً وعملاً، فيجوسون خلال الديار ويحققون موعود الله ونصره - الآن لا محالة - ونكون خلافتهم على منهاج النبوة . فسيظل الصراع مستمراً إلى يوم القيامة بين قوى الشر وقوى الخير التي لن تعمد على أي حال جنوداً يكونون على الإسلام والسنة،



يجتهدون في معرفة الحق ويعملون في الوصول إليه ويجاهدون في سبيل الله ما وسعهم الجهد.

وباختصار فإن استعادة الخلافة بتأيي لمن تتحقق فيه صفات أهل التمكين التي جاء ذكرها في نحو قول الله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه أتلة على المؤمنين أعة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخلفون لومة لائم﴾ (المائدة: ٥٤)، وقوله: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا﴾ (التح: ٢٩).. ويكونون ظاهرين على الحق على النحو الذي ورد في قوله ﷺ فيما رواه أحمد والطبراني بسند رجاله ثقات عن أبي أمامة: [لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من جابههم إلا ما أصابهم من لأواء - أي من لذي - حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، قيل: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس] (١).

ويحدثنا ما سبق سرده، إلى أن نذكر بما جاء في السنة المطهرة مشيرًا إلى محق الباطل وأهله ضمناً، وإلى أن نبشر بتحقيق موعود الله لهذه الأمة صراحة على نحو ما ورد في قوله ﷺ فيما أخرجه مسلم (٢٨٨٩) عن ثوبان: [إن لله زوى في الأرض فرايست

(١) الحديث ونحوه رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي.

مشارقتها ومغاربها، وإن أمتى سبيلك ملكها ما زوى لى منها]،  
وقوله فيما أخرجه أحمد في مسنده (١٧٠٨٢) وابن حبان (١٦٣١)،  
(١٦٣٢) وكذا الطبراني والحاكم والألباني في الصحيحة رقم ٣ (١:٧)  
عن تميم الداري: [ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك  
الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل،  
عزاً يعز الله به الإسلام وذللاً يذل الله به الكفر].

والله نسأل أن يستخلفنا لدينه ولا يستبدلنا، وأن يجعلنا ممن يُعز  
بهم الإسلام وأن يلحقنا بمن في أكناف بيت المقدس ممن هم ظاهرون  
على الحق وأن ييسر لنا سبل الوصول إليهم، وأن يجمعنا وإياهم في  
الدنيا على محبته ورفعة دينه وإقامة خلافته، وفي الآخرة في مستقر  
رحمته.. اللهم آمين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



## الخاتمة

يحق لنا بعد كل ما تقدم أن نقول بكل ثقة وبقين مردين ما ذكره د. أحمد عصام البشري المفكر السوداني وعضو المجلس الوطني، في مجلة القدس العدد ٢٤ ص ٦:

إن الحق التاريخي لليهود في أرض فلسطين، والزمع بأن إسرائيل ما جاءت لتحتل أرضاً بل لتمتد حقاً، فرية شوهاء وكذبة بقاء لا تقوم على ساق ولا تنهض بها حجة، وهي أوهى من بيت العنكبوت، كما أن القول بأن لليهود حقاً دينياً في فلسطين يدعى أنها تُعد الآن امتداداً لمملكة داود التي قامت في القرن العاشر قبل الميلاد، لا يقوى أمام التحقيق العلمي، وكذا ما استطاعوا أن يؤثروا به على الغرب المسيحي من الاعتقاد بأن عودة المسيح مرهون بتجميع اليهود في أرض فلسطين، والإعلان بأن تأسيس الكيان الصهيوني تحقيق للنبوءة التوراتية التي تقول: " إن الله وعد إبراهيم (بأن يعطى نسله أرض فلسطين. وكذلك وعد ابنه إسحاق وحفيده يعقوب...)". كل ذلك وهم كبير، ذلك أن « أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » (آل عمران: ٦٨).. كما أن الإمامة لا تنتقل بالوراثة وإلا شابهها الجور والظلم الذي لا يرضى عنه رب العزة القائل لإبراهيم عندما « قال ومن ذريتي؟ » طالباً إياها لبيته

ولبنى عليه من بعده، فكان الجواب من الله ﴿ قُلْ لَا يَنْالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٦٤).

وأضيف أن ادعاء يهود للحق الدينى فى أرض الميعاد إنما تبخر جراء مواقفهم المتمردة على أوامر الله وفعلهم الشر فى عنى الرب وإعاقته، وارتباط أكثر من ألف مليون مسلم الآن وأضعاف أضعاف ذلك من قبل ومن بعد إلى قيام الساعة، بمنتهى مسرى نبهم ﷺ ومفتتح معراجه إلى سدره المنتهى، كما تبخر ادعائهم بحقهم التاريخى بأسبقية العرب فى هذه البلاد بألفى عام، وبغريبتهم عن هذه البلاد منذ وقت امتلاكهم لها أيام داود كما جاءت بذلك نصوص التوراة<sup>(١)</sup>، وإلى زوال دولتهم على أيدي الآشوريين والبابليين وهى فترة لا تزيد فى جملتها عن مائة عام، والتاريخ وعموم الكتب المقدسة تشهد أنهم عاشوا فيها غرباء، كما تشهد وتسجل أنهم عندما دخلوها لم يجدوها فارغة وعندما رحلوا عنها لم يتركوها فارغة، لقد كان فيها أهلها الفلسطينيون (الكنعان) المذكورون فى التوراة والذين لا يزالون سلفهم الممتد إلى يوم القيامة على الرغم من محاولات تغيير معالم الأرض بعد احتسابها واتباع كافة أساليب

(١) سفر القضاة ١٩: ١١-١٢ وصموئيل الثانى ٢٤: ٢١-٢٥.



الإخراج، تلك المحاولات والأساليب التي يتبعها معشر يهود وتشيهد بأنهم أعظم وأشد الناس معاداة للسامية.

وعليه فإن ثمة خيانة تلحق العرب والمسلمين إن هم فرطوا في شبر واحد من أرض فلسطين قاطبة أو في قدسهم الشريف على وجه الخصوص، وذلك بموجب الوثيقة العبرية التي أمرنا من المعصوم عليه السلام بأن نعرض على سنة صاحبها بالولوج، تلك الوثيقة التي نصت على ألا يسكن أرض إيلياء (فلسطين) يهودى واحد، والتي جاء في آخرها: "وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين". بل وبموجب نصوص التوراة نفسها التي باسمها ينتهكون العرض ويحتلون الأرض ويريدونها من النيل إلى الفرات، إذ التوراة عينها هي التي انتزعت منهم حقهم في العودة إلى أرض فلسطين - التي هي في الأساس ليست لهم - وذلك بعد أن عاودوا أغاظه الرب بمعبوداتهم الباطلة، وأأمروا على أنبيائه وحرفوا الكلم عن مواضعه، وبعد أن خالفوا شرائعه ووصاياه، فاستحقوا بذلك أن يندهم إلى الزوايا ويبطل من الناس ذكرهم<sup>(١)</sup>، ويذلهم ويستأصلهم

(١) سفر التثنية ٢٨: ٦٦.

من الأرض التي وعدهم من قبل بامتلاكها ويشتمهم فى جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها<sup>(١)</sup>.

ألا فليذهب أولئك الأنجاس وليرحلوا عن ديارنا ومقدساتنا، وليبحثوا عند من منّوهم بالرجوع إلى فلسطين عن مكان آخر، أو فليعودوا من حيث جاعوا .. فلا مكان لهم بيننا، وللبلاذ المقدسة أهلها، ويتوجب عليهم حتى يقضى الله فيهم أمراً كان مفعولاً، أن يكفوا عن ظلمهم وبغيتهم وعبثهم بالحرّمات والمقدسات وإلا فـ **﴿ وسيعلم الكفار لمن على الدار ﴾** (الرعد: ٤٢).

(١) سفر التثنية: ٢٥-٢٧، ٨: ١٧-٢٠، ٢٨: ٦٢، ٦٤، ٣٠: ١٥-٢٠، ٣٢: ٤٦ وسفر الملوك الأول: ٩: ٣-٩ وسفر الملوك الثانى: ١٧: ١١-٢٠ وإيرميا: ٢٥: ٢٢.





## محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
١٢	تمهيد
٢١	الحقيقة الأولى
٢٩	الحقيقة الثانية
٤٠	الحقيقة الثالثة
٥٣	الحقيقة الرابعة
٦٧	الحقيقة الخامسة
٨٠	الحقيقة السادسة
٩٣	الحقيقة السابعة
١٠٣	الحقيقة الثامنة
١١٥	الحقيقة التاسعة
١٤١	الحقيقة العاشرة
١٥٦	الخاتمة



**يسر المجلس الأعلى للشئون  
الإسلامية أن يقدم للقارئ المسلم  
مجلة « منبر الإسلام » في ثوبها  
الجديد تفتح آفاقها على كل  
جديد ومفيد .. تقدم الفكر  
المستنير الذي يبنى الشخصية  
المسلمة .. تخاطب الروح والعقل  
بموضوعاتها المتنوعة وهديتها  
مجلة الفردوس « مجلة الطفل  
المسلم » التي تحمل تطلعات الجيل الجديد .**

كما يسر المجلس أن يزود المكتبة الإسلامية في جميع أنحاء  
العالم العربي والإسلامي بإصدارات المتنوعة من أمهات كتب  
التراث الإسلامي والموسوعات المتخصصة بالإضافة إلى المنتخب  
في تفسير القرآن الكريم باللغة العربية واللغات الأجنبية:  
« إنجليزية - فرنسية - ألمانية - روسية - إسبانية - إندونيسية »  
وغيرها من مؤلفات كبار العلماء القدامى وكبار المحققين في  
العالم الإسلامي.

**الاشتراكات:** يخاطب بشأنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٩ شارع البهاتات - جاردن سيتي  
قيمة الاشتراكات السنوية (١٢ عمدا)  
أولا: داخل مصر (٣٠ جنيه مصري).  
ثانيا: خارج مصر كالاتي: دول عربية وأفريقيا (٩ دولاراً أمريكياً) دول أوروبية (١١ دولاراً)  
أمريكا: دول أمريكا وكندا وأسيا (١٤ دولاراً أمريكياً) أمريكا الجنوبية وأستراليا (٢٢ دولاراً أمريكياً).

**رئيس التحرير**

**أ.د/ صلاح الدين عبد الحليم سلطان**

**رئيس مجلس الإدارة**

**أ.د/ طلعت محمد عفيفي**

القاهرة - ٩ شارع البهاتات - جاردن سيتي

Website : WWW.Islamic- Council. org- WWW.Islamic- Council. com

E-mail : Islamic\_Council \_ eg@yahoo.com

**العدد ١٠٠ قرش**